الحب يعشق الصدف

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م
ردمك 2 - 360 - 79 – 9947 - 978 (ISBN)
التوزيع الدولي: لبنان، الأردن، مصر، العراق، السودان

اسم العمل: الحب يعشق الصدف
اسم المؤلف: خلادي خولة
تصميم الغلاف: بوغدو محمد إسلام
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج: فريق دار المثقف

صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 0666.76.28.50/ 033 85 65 70

المثقف للنشر والتوزيع

ببلومانيا للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

الحب يعشق الصدف

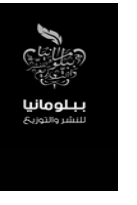

إهداء...

إلى الأب الثاني والصديق الرائع والأخ المثالي الذي لم ولن
تنجب امرأة شبيها له غير أمي
* أرون *

يامن تلومون الحب وتتّهمونه بأنه كاذب
ومخادع وجبان
رفقا به؛ فلا ذنب له... فهو مثلكم يائس
ومحطّم
يشكوا إلى الله كل يوم أنْصارًا أهانوه
وعُشّاقًا خذلوه.

ميت على قيد الحياة

أيا حزن

لما لا ترحل عن قلبي الذي أنهكه السّهر؟

ارحل إن شئت؛ أولا ترحل

لكن دعني أعيش كما أشاء أنا

فلم تعد عندي ثقة فيما قد يأتي به القدر

أيا حزن

أما تدري؟؛ أنّي ألفت صحبتك

وسئمت صحبة البشر

تعودت عليك فلم أعد أبالي

إن جاءني الفرح أو رحل

أنا متعب... محطّم... وكل شيء بداخلي يصرخ

من الظلم ... من القهر... من نفاق البشر

من الأمل الذي انكسر

ومن الحلم الذي مات واندثر

متعب من وحدتي

من قلبي الذي يتّمته الخيانة

وشرّده الغدر

أنا متعب من التّعب؛ وتعبي متعب منّي
والآه التي أسمع صوتها بداخلي
تقطّع أحشائي ... تكتم أنفاسي
وتضيّق الصدر
أيا حزن
خذني أو خفّف عني فإنّي فلم أحتمل
افعل ما شئت ؛ لكن لا تقل لي اصبر
فقد صبرت فوق الصّبر ؛ صبر
أقتلني أو أنصرني ؛ لا تتركني معذّبا
فإما أن يأتي الموت ويخلّصني؛ أو أنتصر

أجمل ما في الصُّدفة أنّها خالية من الانتظار.

. محمود درويش .

كان يمشي بخطوات متثاقلة أنهكها التّمني. يجر وراءه خيباته وأحزانه؛ يردّد في قرارة نفسه كلمات حزينة لجروحه الدّفينة. كان رجلا يائسًا؛ محطّمًا. بلا أمل؛ بلا أحلام؛ بلا أمنيات .....

إلى أن التقطت عيناه صورتها. فتاة في الثّالثة والعشرين من عمرها؛ طويلة القامة رشيقة الجسم؛ فاتنة الملامح. كأنها خلقت من ضلع القمر. مندفعة للحياة... واثقة من نفسها أيّما ثقة؛ وهذا ما انعكس على خطواتها المتراقصة؛ والتي تكلمت نيابة عنها.

شيء ما كان يجذبه لها. توقف عن السّير فجأة؛ وراح يراقب تحركاتها وهي ترقص تحت المطر؛ كطفلة لا تعرف عن الحياة شيئا. تارة تركض وهي مغمضة العينين؛ وتارة أخرى تفتح ذراعيها لتعانق زخّاته النّاعمة.

كانت قدماه تسحبانه إليها شيئا فشيئا... لم يستطع أن يكّف عن النظر إليها. ليشاء الحظ أخيرا أن تولد على تلك الشفتان العقيمتان ابتسامة بريئة؛ عفوية؛ أنارت ظلمة وجهه العابس أماهي؛ فلم تنتبه لوجوده قربها حتى اصطدمت به؛ لتجد

نفسها محاطة بذراعيه؛ ويديها تحتضناه دون سابق انذار. تشابكت نظراتهما وتسارعت دقات قلبيهما أضعافا مضاعفة. نسي كلّ الّذي كان يشعر به قبل قليل؛ تلاشت المرارة ونام القلق الذي كان يسري في عروقه. ضاع في تفاصيل وجهها البريء؛ خصلات شعرها الذهبية التي تداعبها الرّياح؛ عيناها العسليتان؛ شفتاها الورديتان؛ ليقف في النهاية أمام شامة طبعت على خدها الأيسر وقفة جنديّ أنهكته الحرب. تمنى في تلك اللحظة أن لا يتوقّف المطر عن الّنزول؛ ليطول عمر لقاءهما ولو دقيقة؛ تمنى لو أنّ الزّمن ينساه هناك ويمضي. ابتعدت عنه قليلا محاولة كتم عطستها؛ لكنها عجزت عن فعل ذلك. لقد جاءت تلك العطسة في وقتها لتوقظه من سبات أحلامه؛ حمدت الله وهي تضع يدها على فمها. غمز بعينيه مرتين قائلا:

-يرحمك الله سيدتي.

-يهديكم الله ويصلح بالكم. شكرا لك.

سكتت هنيهة ثمّ أضافت:

- أنا آسفة عمّا حدث؛ لقد اصطدمت بك دون قصد.

بقي ينظر إليها بثبات؛ هو متأكد من أنه قد رآها قبل هذه

المرّة. فوجهها بدى مألوفا لديه.

لكن ذاكرته لم تسعفه ليتذّكر شيئا. وبينما فتح فمه ليردّ عليها؛ ودّعته وانصرفت بهدوء.

خاطبه قلبه في تلك اللّحظة ناصحًا: افعل شيئا لا تتركها ترحل؛ هيّا تصرّف.

لكنّه تأخّر كثيرا لفعل ذلك؛ فقد غابت عن عينيه في لمح البصر وكأنها لم تكن. تزاحمت داخله أحاسيس كثيرة. القديمة منها والجديدة؛ وامتزجت ببعضها. الألم بالأمل؛ الطمأنينة بالقلق؛ والحزن بالفرح؛ لقد شعر لأول مرّة بأنّه تحرّر من كامل همومه التي عذّبت روحه ونهشتها دون شفقة. لكنّ ذلك الشّعور لم يدم طويلاً.

وبينما هو واقف في حيرة من أمره؛ وعلى حين غفلة منه؛ وقع بصره على شيء ما كان يلمع على الأرض التي شربت من ماء المطر حتّى ارتوت. تقدّم نحوه بضع خطوات ليلتقطه؛ وإذا به سنسالها. وقع منها دون أن تشعر به؛ وذلك عندما كانت تستمتع بالرّقص على معزوفة السّماء.

داعبه للحظات بين أصابعه؛ قبل أن يفكّر في البحث عنها؛ بل وعقد العزم على ايجادها. فهو لن يسمح بأن ينتهي

لقاءهما هكذا وبهذه السّرعة؛ ربّما كانت هاته فرصته الوحيدة ليرمّم جدار قلبه المحطّم منذ مدّة طويلة.

لطالما كان رجلا حزينا يحمل بين أضلعه قلبا جريحًا. ذلك القلب لم ينبض لأجل أحد؛ ولم يعرف كيف يكون الحب يوما.

* * *

أمير شاب جزائري يبلغ من العمر ثلاثين سنة؛ طويل القامة؛ قوّي البنية؛ ذو عينان خضراوان؛ وشعر أسود كثيف؛ ولحية خفيفة. رغم أنه وحيد والديه؛ إلاّ أنه لم يكن مدلّلا سوى من طرف والدته؛ وهذا منذ أن كان طفلا. والده رجل قاسي القلب؛ كل شيء يأمر به يجب أن ينفّذ؛ ودون أيّ اعتراض. يوم بعد يوم؛ كبر أمير لتكبر معه معاناته. كان حلمه أن يُصبح طيّارا؛ لكنّه أصبح طبيبا؛ كما أراد والده. توفيّت والدته بعد سنة واحدة من تخرّجه؛ وذلك بعد صراع طويل مع مرض السّرطان؛ تاركتًا فراغا كبيرا في حياة ابنها الوحيد؛ وجرحا لن تضمّده السّنوات.

لكن والده لم يأبه لا بجرحه ولا بحزنه؛ ودون أن يستشيره أصلا؛ خطب له ابنة عمّه؛ وهذا بعد شهرين فقط من وفاة والدته؛

كونها الوحيدة التي تناسبه حسب رأيه. فخير البرّ عاجله؛ ولأنّه كان يعلم جيّدا رأي أمير في هذا الموضوع؛ وضعه أمام الأمر الواقع وخيّره بين أمرين:

إما أن يتزوّج من رانيا؛ أو يغضب عليه ولن يكلّمه طوال عمره. وفي النّهاية كان له ما أراد. تزوّج أمير من ابنة عمّه كُرها. رغم هذا لم يُشعرها يوما بنقْص؛ بل وحاول جاهدا أن لا يظلمها معه؛ فلا ذنب لها؛ ولا إثم عليها. لكن ذلك لم يدم طويلا؛ ليكتشف بعد شهر من زواجهما أنها عشيقة غيره. صدمة وراء أخرى؛ وكارثة تجرُّ أختها. كان بإمكانه فضحها؛ فلا شيء يمنعه من ذلك لكنّه لم يفعل ما كان بمقدوره فعله؛ ستر عليها. واختار أن يتّم الطلاق بالتّراضي؛ دون أن يعلم أحد بذلك. بدأ أمير بإجراءات الطلاق؛ وكل شيء كان يسير على ما يرام. لتأتي قصّة حملها وتُربك الأوضاع؛ وتزيد الطّينة بلّة؛ فيتبخّر بذلك حلم خلاصه من السجن الذي رماه فيه والده في الهواء. ترجّته بأن يتراجع عن قراره؛ وأخبرته بأنها مستعدّة لفعل أي شيء يطلبه منها؛ فكان طلبه الوحيد أن توقّع على أوراق الطّلاق؛ ليذهب كلّ منهما في حال سبيله وحين أغلقت في وجهها الأبواب؛ وباءت جميع مخطّطاتها

بالفشل؛ لجأت إلى عمّها الذي لا يقلّ عنها خبثا ودهاءً؛ فأخبرته بكل شيء باستثناء خيانتها لابنه طبعًا. لتجد عنده الحلّ السريع. اقترح عليها أن توافق على طلب أمير؛ وفي نفس الوقت تهدّده بحرمانه من طفله الذي لم يولد بعد. فنقطة ضعف أمير هي الأطفال؛ وهذا ما كان يعرفه والده حقّ المعرفة. وكونه طبيب؛ هو يرى كل يوم حالات إجهاض وموت؛ يكون دائما الأطفال هم الضحيّة فيها. إما أن يولد لقيطا؛ أو يتيما؛ أو ميّتا.

ما ذنب طفل لم يولد بعد ؟؛ ذنبه أنّ يدًا خائنة سترعاه. سيكبر بعيدا عن والده؛ وسيُحرم من كلمة (بابا)؛ وهذا الشيء الذي لم يتقبّله أمير حتّى في مخيّلته. لن يستطيع تأمينها على طفله؛ وفي الوقت نفسه هو مدرك تمامًا أنّها ستفعل ما قالت؛ مادام والده في صفّها. ليدفع أمير الفاتورة في كل مرّة. لم يفكّر في نفسه ولا فيها؛ بل فكّر في ابنه؛ لكي لا يعيش ما عاشه. لكي لا يعاني ما عاناه هو؛ وهذا ما أجبره على التّراجع عن قرار الطّلاق. فترك لها المنزل بما فيه؛ وانتقل للعيش في بيت آخر. لم يعد أمير كما كان سابقا. لقد تغيّر كثيرا؛ فكلّ تلك الأحداث والطّعنات التي تلقاها لم تكن سوى القطرة التي أفاضت كأس خيباته. ليصبح ذلك الشاب الطيّب المتّزن؛ رجلاً آخر هم من

صنعوه. كان عندما ينتهي من دوامه ؛ يذهب رفقة صديقين له إلى البار؛ فيسرف هناك في الشّرب؛ ثمّ ينهي ليلة مع إحدى بنات الهوى. لم يكن ذلك رغبة منه؛ بل كان رغما عنه يريد أن يهرب من واقعه الذي لم يرحمه. يشرب كأس؛ اثنين؛ خمس؛ بقدر ما استطاع وأكثر؛ همّه الوحيد أن ينسى. لم تعد لديه ثقة في أي مخلوق؛ وخاصّة جنس حواء. فالجميع أصبحوا في نظره خونه؛ يتلاعبون بالعواطف؛ ويتاجرون بالقلوب في سوق الإلحاد؛ بعد اغتصابها تحت مسمّى الحب بكلّ ثقة؛ بل و يتنافسون على من منهم يقّدم أعلى سعر؟ للفوز برِهانٍ لا يسمن ولا يغني من جوع؛ رِهانٌ لا تتطابق أركانه مع دين الإنسانية. او حتّى مع قوانين البشر .

– لأجل المال –

– الآلهة التي تتحكّم في مصير النّاس. في نجاحهم وفشلهم؛ سعادتهم وبؤسهم.....

–الميزان الدقيق الذي يرفع أناس ويضع آخرين.

ففي أغلب المجتمعات؛ يقدّر النّاس بحجم ثراءهم؛ لا بشهاداتهم وأخلاقهم؛ وهذه هي الحقيقة الموجعة والمؤسفة. إن كانوا أغنياء قالوا لهم أهلا وسهلا بكم؛ وإن كانوا غير ذلك فالله وليّهم؛ ولا حول ولا قوّة لهم إلاّ به.

بقي أمير على تلك الحال؛ إلى أن ولد طفله (بيرم) ليعود إلى رشده شيئا فشيئا. أصبح يقضي معه أكبر وقت ممكن؛ فبمجرّد أن يرى ابتسامته البريئة؛ ينسى حزنه وكل ما ألمّ به من ظلم وشقاء. هو الآن يحاول ألاّ يكون نسخة عن والده؛ فبيرم سيحيي الحياة نفسها التي حلم بها أمير.

أربعُ سنوات من الألم والبؤس والخذلان؛ كان يتناول في كل يوم يمضي جرعة حزن زائدة عن التي قبلها؛ تحمّل كل هذا من أجل ابنه. والشيء الوحيد الذي كان يخفّف عنه؛ هي والدته. منذ أن سرقها الموت منه؛ يذهب إلى قبرها ويشكوها همّه وأفعال والده. يتكلّم معها كما لو أنّها حيّة؛

فقد كانت نوراً له في ظلمته؛ وقوّته التي غلبت ضعفه. لقد ركض كثيرا دون توقّف؛ وتحمّل ما لم يتحمّله قلب بشر. آن الأوان إذن ليأخذ قسط من الراحة. ذلك الشعور الجميل الذي افتقده طويلاً. وهذه المرّة فكّر في الهرب بعيدًا عن كلّ شيء أنهكه. فكّر في السّفر؛ علّه يريح رأسه قليلاً.

بقي يومها لوقت متأخر في مكتبه؛ راجع جميع مواعيده؛ ثمّ اطمئنّ بنفسه على صحّة مرضاه قبل مغادرته المشفى. ليلحق في صبيحة اليوم التالي بأوّل طائرة متّجهة إلى باريس.

عقولنا مخازن كبيرة؛ يجب أن نفرغها من الهموم كلّ فترة

هو يوم من أيام شهر جانفي / يناير. وبالتّحديد في العاصمة الفرنسية باريس. تلك المدينة المتشبّثة بشبابها وإن تقدّم سنّها؛ المتميّزة بأناقتها السّاحرة؛ والمتوهّجة بقصص الحب والرفاهيّة الثقافية؛ والملاحم الفنيّة الرّاسخة في الذّاكرة رغم مرور الزّمن.

رغب أمير هذه المرّة بأن يستمتع بالأجواء السّاحرة؛ الّتي تتميّز بها شوارع المدينة؛ حيث يعتبر كلّ شارع منها علامة فارقة في العاصمة الفرنسيّة.

من اللّوفر إلى الشانزاليزيه؛ الذي يعتبر أحد أشهر الشّوارع السياحيّة والتّجارية على مستوى العالم. مباني شاهقة؛ مزيّنة بديكورات وزخارف في غاية الرّوعة؛ يصل عمر بعضها إلى حوالي 400 سنة. شوارع واسعة ونظيفة؛ تزيّنها واجهاتُ محلاّتٍ تجاريّة لأشهر الماركات العالمية.

فعلى الرغم من برودة الجوّ إلاّ أن الحشود لازالوا يتوافدون أمام المسارح والمطاعم؛ وأبواب الفنادق؛ ومحلاّت «غاليري لافاييت» و « لوبرينتان ».

شعر بالانجذاب لهذا المكان الّذي تغمره الحياة ليلا ونهاراً؛ سواءً

كان الجوّ بارداً أو عاصفًا أو مشمسًا. سيّاح بمختلف الأعمار يلتقون صور السّيلفي؛ عشّاق يتبادلون الحب عند كلّ منعطف وهم يسيرون جنبًا إلى جنب متشابكي الأيدي؛ ومجموعات متفرّقة من الأمن بين المارّة. فرك يديه بالتّناوب ليستشعر ببعض الدّفء؛ على أمل أن يتحسّن الطقس قليلاً خلال السّاعات القادمة.

– تشير السّاعة الآن إلى : السّابعة مساءًا.

اقتنى أمير من إحدى المحلات التجاريّة؛ مجموعة من العطور الفاخرة التي يفضّلها كعطر: يوفوريا انتنس من كالفين كلاين؛ وعطر بولو بلو رالف لورين؛ وأرماني كود.

– السّابعة وخمسة عشرة دقيقة:

تناول وجبة خفيفة في مطعم بيتزا بينو؛ الّذي يعتبر من أشهر مطاعم باريس؛ الّتي تتخصّص في تقديم الأطباق الإيطاليّة؛ كالباستا و البيتزا. ألقى نظرة على ساعته؛ كانت تشير إلى تمام الثامنة مساءً. تعجّب من مرور الوقت سريعاً دون أن يشعر به؛ وضع الحساب على الطاّولة؛ ثمّ ارتدى معطفه ليهمّ بعد ذلك بالانصراف وما كادت قدماه تتجاوزان عتبة الباب؛ حتّى لفحته هبّة قارسة؛ تلتها أمطار غزيرة. عقد الوشاح حول

عنقه؛ وانطلق مهرولاً؛ دافئاً رأسه بين كتفيه؛ ولحسن الحظ استطاع أن يوقف إحدى سيارات الأجرة المارّة من هناك. كبت رغبته في التّثاؤب؛ وراح يراقب المدينة من وراء النّافذة. لم يكن يشغل تفكيره في تلك اللّحظة شيء سواها. الفتاة التي دخلت قلبه دون استئذان؛ لمعت في ذهنه من جديد صورتها التي لم تفارق مخيّلته ... مرّة أخرى رُسمت على وجهه ابتسامة عريضة. فعلى الرغم من أنّه لا يعرف عنها شيئاً؛ ولا يملك بيده أضعف معلومة قد تسهّل عليه مهمّة الوصول إليها؛ غير سنسالها الذي بقي معه. إلاّ أنّه لم يتخلّى عن فكرة إيجادها. لكنّه كان يعود خائباً في كلّ مرّة يخرج فيها باحثاً عنها. وهذه المرّة عليه أن يرضى بالأمر الواقع. لام نفسه في سرّه كثيراً قائلاً:

ما كان عليّا أن أتوقع شيئاً من لقاءٍ عابر؛ كيف لي أن أعلّق أملاً على صُدفة. وأخيراً غلب على أمره؛ وعادت الخيبة لتنهش قلبه مجدّدًا؛ فاستسلم للحظة الرّاهنة؛ وسلّم أمره لربّه على أمل أن تستجيب السّماء لدعواته؛ فتفعل الصّدفة فعلتها مرّة أخرى.

– 8 يورو يا سيدي.

– أدّى أمير المبلغ لسائق التاكسي؛ وترك له بقشيشًا؛ يشكره بذلك على خدمته.

كانت السّيارات تمرّ من كلّ جانب؛ كأنّها في سباق مع الزّمن. فيما توقّفت البعض منها للحظة في عكس اتّجاهها.

* * *

في تلك الأثناء؛ كانت هناك فتاة تعبر الرّصيف رغم الازدحام الشّديد؛ غير آبهة بحياتها تعجّب أمير في بادئ الأمر؛ قبل أن يدرك بأنّها شاردة تمامًا. فحاول ان يوقظها من غفلتها صرخ بأعلى صوته قائلاً باللّغة الفرنسيّة : « حذار؛ انتبهي». وفي اللّحظة التي التفتت له فيها؛ كانت هناك سيّارة مسرعة قادمة نحوها. لم تشعر سوى بيد مجهولة سحبتها بقوّة؛ ليقعا كلاهما بعد ذلك أرضًا. كانت نجاتها معجزة؛ ولحسن الحظّ أنّ أمير تدخّل في الوقت المناسب.

سألها مرتبكًا وقد تملّكه الهلع جدّيًا:

– أأنت بخير؟ لم تصابي بأي أذى صحيح ؟.

أجابته دون أن تبعد يداها من على وجهها:

ـلا أعرف!. أنت أخبرني؛ هل لا نزال على قيد الحياة فعلاً؟ لم نمت صحيح!

ردّ أمير ضاحكًا وهو يمسك بيدها ليساعدها على النّهوض:

– افتحي عينيك؛ وتأكّدي من ذلك بنفسك .

كانت تلك هي المرّة الأولى التي تنظر فيها إلى وجهه. تشابكت نظراتهما؛ وعقدت المفاجأة ألسنتهما؛ وازدادت دقّات قلبيهما تعاظمًا. لم يستطع كلاهما تفسير ما يحدث .

كان أمير بحاجة لصفعة قويّة توقظه من صدمته التي امتزجت بفرحته. قالت بتعجّب :

– هيدا إنت ما بصدّق يا الله كيف هيك ...!

ردّ ضاحكًا محاولًا بذلك إخفاء ارتباكه :

. ولا أنا مصدق إنّك إنت نفسها يلي ... مستحيل!.

قالت وهي ترتّب ملابسها :

– عن جد ما بعرف كيف بدّي إتشكرك.

إنت أنقذت حياتي؛ ممنونتك كتير. طمنّي إنت بخير ؟

أمير مطمئنًا:

– الحمد لله .

– بعتذر منّك نسيت عرفك ع حالي؛ إسمي ألين .

– تشرّفنا؛ وأنا أمير.

الحب لا يمكن له أن يتواجد حيث لا وجود له؛ وعلى الغرار من ذلك؛ لا يمكن له الاختباء من مكان تواجده .

. مقتطف من فيلم « تقبيل مغفل» لديفيد شويمر.

أشارت بيدها إلى إحدى المباني الفخمة التّاريخيّة؛ التي لم تكن تبعد عنهما سوى بمسافة وجيزة؛ وبالتّحديد إلى فندق « بنينسولا». ذلك المبنى الكلاسيكي الّذي بني وفق طراز هاوسمان الكلاسيكي يحتل موقعًا استراتيجيًا في باريس. فهو يقع في الدّائرة التّاسعة عشر من جادة كليبر؛ داخل الدّائرة السّادسة عشر الأنيقة؛ أي أنّه يبعد مسافة قريبة عن قوس النّصر وقصر الإليزيه.

افتتح الفندق عام 1908 تحت اسم «ماجستيك» واستضاف أوّل مقر لمنظمة اليونسكو. وقد تمّ الاستلاء عليه في الحرب العالميّة الأولى وحوّل بعد ذلك إلى مشفى مؤقت. ولم يستأنف نشاطه إلّا بعد خضوعه لعمليّة ترميم واسعة ودقيقة ومكلّفة ليكتسي بذلك حلّة عصريّة ؛ تماشت وديناميكيّة المدينة.

افتتح مرّة أخرى في عام 2014؛ وشهد أوّل حفل فيه عام 2016.

– أنا نازِل هون؛ بتمنى تقبل عزيمتي ع ....

كانت ستدعوه لتناول العشاء معها على سبيل امتنانها له؛ لكنّ أمير قاطعها:

و أنا نقول وين شفتك ؟ حاولت نتفكر ومقدرتش، أنا تاني نازل هنا.

عن جد!

معناتا خلينا نفوت لجوّا بسرعة قبل ما نتجمّد من البرد.

ok_

ينافس هذا الفندق أفخم الفنادق في أوروبا وأكبرها؛ حيث تعتبر علامة بنينسولا من أقدم علامات الضيافة الفندقيّة في العالم. لاشتهارها بخدماتها الفندقيّة الخاصّة من بينها: شاي العصر الّذي يتم تقديمه في الرّدهة؛ والخدام وتماثيل الأسد الصيني عند الباب وأسطول سيّارات «روزلويس»..... استقلا أحد المصاعد الموجودة. ضغطت ألين على زر الطابق السّادس؛ وماهي إلاّ دقائق معدودات حتّى فتح المصعد على جناح فريد من نوعه؛ طغى عليه اللّونان الأبيض والذّهبي؛ والّذي يضمّ المطعم الرئيسي للفندق «وتيراس لوازو بلانك «؛ حيث يمثّل هذا الأخير جوهرة تاج الفندق. لتميّزه بأروع الإطلالات السّاحرة على أبرز معالم المدينة الّتي

يطبق صيتها الآفاق وهذا لأنّ أسقفه وجدرانه من الزّجاج. اختاروا الجلوس على طاولة مجاورة للحائط الزّجاجي المطلّ على المدينة. يظهر منه برج إيفل شامخًا بطوله الّذي يبلغ 324 مترًا. تشير السّاعة إلى: الثامنة وخمسٌ وأربعون دقيقة.

طلب أمير طبقًا من سّلطة النّيسواز؛ بعد أن ألقى نظرة على القائمة. وتتميّز هذه السّلطة بتنوّع مكوّناتها. فهي تحضّر من التّونة والبيض؛ { البطاطا} غالبًا؛ والطّماطم ؛ وقلوب الحرفوش؛ والّزيتون والفجل؛ الفليفلة والفصولياء الخضراء. أمّا الصّلصة المرافقة فتحضّر من الخل؛ الخردل؛ الفلفل والملحّ ؛ وفي بعض الأحيان يضاف الثّوم. فيما طلبت ألين حساء البصل الّذي يعتبر أشهر حساء فرنسي على الإطلاق؛ والّذي يرجع أصله إلى العصر الرّوماني؛ أمّا الحاليّة فتعود إلى القرن الثّامن عشر.

أحسّت بدقّات قلبها المتسارعة وكأنها في سباق ماراتون. فلم يسبق لها وأن جرّبت هذا الشّعور من قبل.

الثّامنة وخمسٌ وخمسون دقيقة:

افتتح أمير باب الحديث متسائلاً :

. نقدر نعرف علاه كنت شارده ؟

ردّت دون أن تنظر إليه مباشرة وقد احمّر وجهها خجلًا:

. اعفيني من هيدا السؤال؛ لأنّي ما بقدر خبرك.

أمير ضاحكًا :

. حاضر؛ براحتك.

لم يكن هناك من هو أسعد منه في تلك اللّحظة. كان يرمقها بنظرات ثابتة؛ غير مصدّقٍ من أنّها حقًا تجلس أمامه الآن.

-سعيد بزّاف لأنّي عرفتك.

-وأنا كمان؛ ميرسي كتير.

- شحال عندك وإنت هنا؟

- من حوالي أسبوعين.

- عمل ولا إجازة ؟

- فيك تقول إجازة. بالعادة بجي لهون تا ريّح راسي شوي؛ وإنت ؟

- إجازة أنا تاني.

التّاسعة وخمس دقائق:

كانت تتأمّل النّاس كرسّام يحفظ تفاصيل أحدهم قبل أن يبدأ برسمه. لم يخطر بباله أنّها مولعة بالكتابة؛ إلّا عندما أخرجت من حقيبتها الصّغيرة مذكّرةً سوداء وقلماً. وبدأت تكتب لم يستطع أن يمنع نفسه من التطفّل على خصوصيّاتها فسألها:

. واش ديري ؟

اكتفت برفع يدها تطلب منه أن يمهلها خمس دقائق؛ قبل أن تجيبه قائلة :

ما تآخذني. بالحقيقة في رواية بلّشت أكتبها من كذا يوم؛ لهيك لما بتجيني فكرة بكتبا دغري؛ لحتّى ما إنساها بعدين.

إنت كاتبة ؟

_لا. ما بعتبر حالي وصلت لهي الدّرجة؛ أنا بكتب ع الشّي يلي أنا بحس فيه؛ وبنفس الوقت بعبّر عن معاناة النّاس؛ أفراحن وأحزانن؛ من وقت لتّاني.

_كيفاه تفهميهم ؟.

. من عيونن ببيّن كلشي. ماراح تفهم قصدي تّا تقرى شو بكتب . راح تسمحيلي؟.

ردّت باسمة :

. أكيد بشي يوم؛ بس مو هلأ.

التّاسعة وعشر دقائق:

. إنت من الجزاير صح؟

. نعم؛ كيفاه عرفتي ؟

. من لهجتك توقعت هالشّي.

. مليح. وإنت ؟

ضحكت قائلة:

. أنا كوكتال عربي. نص منّي لبناني؛ ونص جزايري؛ ونص سوري.

لم يصدّق ما سمعته أذناه؛ فجوابها أذهله كثيرًا. قال وهو يمسح على جبينه باسمًا:

. فرحتيني بزّاف كي قلتيلي بلي فيك عرق جزائري. بصح تقدري تفهميني أكثر.

. بيّ لبناني؛ وإمّي جزائريّة سوريّة. يعني جدّي جزائري وستّي سوريّة.

. ما شاء الله .

أكيد زرتي الجزائر من قبل.

. ما كتير؛ بس مرتين. واتنيناتهن كانوا بالصّيف.

. مليح. وإذا خيّرتك بين لبنان؛ الجزائر؛ سوريا. أي وحده فيهم تحبيها أكثر.

. بصراحة راح اختار تلاتهن سوى. لأن ما عندي فرق بيناتهن متل ما لبنان بلدي كمانا الجزائر وسوريا نفس الشي.

. طيّب. وبالنسبة للّهجة ؟

. شوف؛ لما منكون برّا البيت أكيد راح نتكلّم اللّهجة الرّسمية. وهيدا الشّي طبيعي.

أمّا بالبيت ف نحنا ما منتكلّم لهجة وحده وبس.

لهيك تعودت احكيهن تلاتهن. بس تعرفني كتير منيح راح تلاحظ هيدا الشّي.

. حاجة مليحة بزّاف.

شوفي المكتوب ما تلاقيناش في بلادنا؛ وكتبلنا نتلاقوا في باريس.

. عن جد كانت صدفة عجيبة.

التّاسعة وخمس عشرة دقيقة:

كانت تتعمّد اضحاكه؛ لأجل أن تكحّل عينيها بغمّازتيه اللّتان سحرتاها.

التّاسعة وعشرون دقيقة:

تناول كلّ منهما شيئًا من طبقه؛ دون أن يتكلّما بعد ذلك كلمة واحدة.

ألقت ألين نظرةً من خلال الجدار الزّجاجي تتفحّص الجّو خارجًا. يبدو هادئًا نوعًا ما؛ هذا لأنّ السّماء توقّفت عن البكاء أخيرًا.

التّاسعة وواحدٌ وثلاثون دقيقة:

لم تكن إجاباتها المختصرة كافية لإسكات فضوله. فواصل استجوابها محاولًا بذلك أن يتعمّق بها أكثر:

. علاه إنت حزينة؟

. أنا!.. ليش مبيّن عليّ الحزن ؟

. لأنّك لابسا كلشي أسود.

ضحكت قائلة:

. الأسود هوّي لوني المفضّل؛ تربطني فيه علاقة قويّة كتير.

ليش الأسود بيدل عالحزن عندك ؟.

. تقريبًا .

. مش دايمًا بيكون الأسود لون الحزن. لما تطّلع عليه بتشوف كتير إشيا

بتشوف القوّة؛ الغموض؛ والجرأة. ع فكرة أنا إذا ما لبست شي أسود بحس إنّو في شي ناقصني. هوّي بيكملني لهيك أنا ويّاه كتير منتشابه.

. أعجب أمير كثيرا بقوّة شخصيتها وجرأتها. ولم يتردّد أبدا في إبداء إعجابه بكلامها؛ فاسترسل قائلاً:

. عجبني كلامك بزّاف ماعندي أي تعليق.

. ميرسي هيدا من ذوقك.

وإنت شو هوّي لونك المفضّل ؟

. الأزرق.

. حلو كتير. الأزرق لون السّما والبحر.

طيّب خبرني ليه اخترت هيدا اللّون بالذّات ؟ بشو يشبهك ؟.

. إنت قلتي إنّو هو لون السّما والبحر.

السّما كي تحزن تبكي؛ والبحر كي يغضب يهيج وأمواجوا ما ترحمش.

. قطبت ألين حاجبيها قائلة:

. بي خوفتني.

ردّ أمير ضاحكًا:

. ما تخافيش؛ نتمسخر معاك يا ألين.

السّاعة التّاسعة وخمسٌ وثلاثون دقيقة:

. أمير شو بتعمل في الحياة ؟.

. طبيب.

. ما شاء الله.

. وإنت ؟

. أنا مصمّمة أزياء ومجوهرات.

. مليح. الله يبارك.

. ما قلتلّي؛ ليه اخترت هيدي المهنة بالذّات ؟

. تصدقي ما كنتش نتوقع إنّي نكون طبيب في يوم من الأيام.

. أكيد أهلك هنّن السبب يلي خلاّك تدرس طب؛ صحيح حكيي؟

. نعم .

. طيّب؛ وشو كنت حابب تكون ؟.

.Pilot

.عن جد حلو كتير!.

بس مع هيك بيضل الطّب مهنة غير. وإنت لازم تفتخر فيها .

عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم .

. عندك حق. فالأول كي كنت نقرى ما كنتش نعرف قيمتها. أما كي بديت نخدم

ولّيت نحبها بزّاف. تحسّي بسعادة كبيرة كي تساعدي إنسان فما بالك بإنقاذ مريض.

. أنا بشوف إن في كتير نقط تشابه بيْناتنا.

. رأيي من رأيك.

التّاسعة وأربعون دقيقة :

كانت ترمقه بنظرات خاطفة بين الحين والآخر.

سألته وهي تداعب القلم بين أصابعها:

. أمير. شو هيّي أكتر صفة بتكرهها؟

. الخيانة؛ وإنتِ.

. الكذب.

التّاسعة وثلاثٌ وأربعون دقيقة :

. عادت للكتابة مجدّدا؛ فهي لا تريد أن تفوّت شيئًا .

وهذه المرّة لم يسألها ماذا تكتب؛ فقد كان متأكدًا من أنّها دوّنت كلّ الحديث الّذي دار بينهما فاكتفى بالنّظر إليها فقط.

كانت تتصرّف بكامل عفويّتها؛ بعيدة كلّ البعد عن التصنّع.

من تصرّفاتها وطريقة كلامها وابتسامتها الخجولة؛ عرف أنّها فتاة بريئة حقًا؛ لم تتعلّم خبث الحياة بعد؛ لم تتعلّم نفاق البشر وخداعهم وتصنّعهم. فتاة لا يزال قلبها ينبض طُهرًا.

لطالما تمنّى كثيرًا بأن يجمعه القدر يومًا بامرأة مثاليّة؛ تحبّ دون خيانة؛ وتتكلّم بلا كذب دون زيادة أو نقصان. امرأة حقيقيّة تتصرّف بعفويّة دون تصنّع.

فبمجرّد تفكيره أن يلتقي يومًا ما بفتاة مثلها؛ كان أمرًا مستحيلًا بالنّسبة إليه. وقد كان محقّا إلى حدّ ما.

فواقعنا لا يخلو من الأكاذيب والمجاملات؛ ولا من النّفاق والنّاس المزيّفين؛ أولئك الذّين يكذبون بكلّ صدق؛ ويخونون بكلّ حب. تراهم أحيانًا ينصحون ويأمرون بالنّصيحة كما يأمرون

بالمعروف؛ وأحيانًا اخرى تراهم يقولون ما لا يفعلون يصعب على الكثيرين منّا في غالب الأحيان؛ التّمييز بين الإنسان الحقيقي والمزيّف. فكلّهم متشابهون في نظرنا. يُخيّل إلينا لوهلة أنّنا في مسرح كبير وأنّ جميع من هم حولنا ممثّلون محترفون يتقمّصون أدوار البراءة ببراعة.

سيحاول الكثيرون منهم جعلك مثلهم؛ وهذا ليس بالأمر الصّعب عليهم. في البداية يغتصبون عذريّة مشاعرك؛ ثمّ يدنّسون روحك الطّاهرة. يسلبون منك طيبتك؛ ليقوموا بعدها بقتل كلّ شعور بريء وجميل داخلك. ليولد فيك شخصًا آخر لا يشبهك؛ وحشًا هم من صنعوه بأيديهم. وهنا تنتهي مهمّتهم. وسرعان ما يتبرّؤون منك؛ تجد نفسك وحيدًا تسبح في بحر الهموم؛ لتتلقّى بعد ذلك صفعة قويّة من الواقع الذّي لا يرحم. تتساءل : من أنا ؟ متى أو كيف أصبحت هكذا؟ لكنّ الجواب دائمًا يكون : لا أدري. ستعجز عن إسكات صرخة الضّمير داخلك. تندم على ما فعلت؛ وتتمنّى أن تعود كما كنت؛ وهنا ستبقى في حيرة من أمرك؛ مترنّحًا بين الجهتين. عاجزاً وضائعا؛ لا تعرف أين تذهب وماذا ستفعل. همّك الوحيد أن تنتقم من الّذين استغلّوا طيبتك؛ ولم يرحموا ضعفك.

صبرًا قليلًا. لا تستعجل الانتقام؛ بل كن مؤمنًا بأنّ الدّنيا تدور كما تدور الأرض حول نفسها حينها ستعود الكرة إلى ملعبك. لا تردّد هاجم بكلّ قوّة لتدافع عن نفسك؛ ولتنتصر عن كلّ من آذوك. ارسم تكتيكًا ماكرًا يشبه ذاك الذّي رسموه لإيقاعك. واحرص على أن تكون شباكك نظيفة. كن واثقًا من فوزك. فلن يهزم من يلعب على أرضه وأمام جمهوره.

ـ نصرك يعني تحققّ العدالة الإلهيّة ـ

* * *

التّاسعة وسبعٌ وأربعون دقيقة:

قالت له وهي ترتدي معطفها:

– ما بتزعل منّي إذا فلّيت هلأ.

– لا إذا ملّيتي خلينا نروح.

– لا ما ملّيت؛ بالعكس. بس تعبت كتير اليوم؛ والوقت مر بسرعة وما حسّيت عليه

هيدي هي باريس تسحرك بكل شي فيها.

– صح عندك حق؛ حتّى أنا ما حسيتش بالوقت كيفاه فات.

سكت للحظات ثمّ أردف قائلًا:

– نقدر نشوفك غدوا إذا ما عندك مانع؟ .

ردّت بابتسامة خجولة:

– منلتقي ليش لا.

مدّ أمير يده إلى جيبه وأخرج منه كرتًا صغيرًا أبيض اللّون؛ وأعطاه لها .

تفحصّته بعينيها ثمّ ضحكت قائلةً:

– ماراح نلتقي بكرا بلاها. شو رأيك زورك بالمشفى يلي بتشتغل فيه؟ .

شعر أمير ببعض الخجل؛ هذا لأنّه أخلط بين الكرت الذّي يحمل اسمه وعنوان عمله؛ والكرت الذّي يحمل رقمه الخاص.

قال متأسّفًا :

– ما تقوليش غلطت عطيتك يلي مكتوب عليه ....سامحيني .

وبينما مدّ يده إلى جيبه للمرّة الثانية ليخرج الكرت المنشود أوقفته ألين بقولها:

– ما في داعي. أعطيني موبايلك وأنا بسجّل عليه رقمي.

رحّب أمير بطلبها؛ مكرّرًا في نفس الوقت اعتذاره لها.

رمقته بنظرة لم يفهمها وهو ينتصب واقفًا. كانت ستقول له شيئًا ما لكنّها تراجعت عن ذلك وفضّلت أن تصمت.

غادرا المطعم كما دخلاه أول مرّة؛ بابتسامة متبادلة. على أمل اللّقاء صباح الغد المقبل.

الحب لا يمكن تفسيره؛ فهو يفسّر كل شيء .
ـ جلال الدّين الرومي ـ

بقلب نصف حيّ ونصف ميّت؛ عاد أمير إلى غرفته فرحًا بما حدث؛ وخائفًا ممّا سيحدث. فرحًا بها لأنّه وجدها أخيرًا؛ وخائفٌ منها في الوقت نفسه. خائفٌ من أن يكون قد وقع في حبّها حقّا. كان يكذّب إحساسه رغم إدراكه التّام من أنّه أحبّها. فليس هذا هو الوقت المناسب ليدخل في علاقة جديدة؛ وهو لم ينتهي من علاقته القديمة. كيف له أن يعيش حاضره في طمأنينة وسلام؛ إن كان لايزال مكبّلًا بقيود ماضيه.

خلع معطفه ورماه على السّرير؛ ثمّ جلس قرب النّافذة. أشعل سيجارة الصّبر وسحب منها نفسًا عميقًا مرسلًا بذلك دخّان قلقه إلى هواء باريس القارس. حاول جاهدا السّيطرة على مشاعره؛ لكنّه لم يستطع منع نفسه من التّفكير بها. تسارعت نبضات قلبه اليتيم وهو يعيد رسم صورتها في مخيّلته. ضحكتها؛ نظراتها الخاطفة؛ عفويّتها وكل شيء جذبه إليها. لتجيبه كل دقّة من دقات قلبه على كلّ سؤال كان يدور داخل رأسه.

ألين هي الفتاة الّتي اجتمعت فيها الصّفات نفسها الّتي تمنّاها يومًا أن تكون في شريكة حياته. قبل أن يفعل به والده ما فعل.

.زوّجه بامرأة لا يحبّها ولا تحبّه؛ ضاربًا بذلك رأيه وشعوره عرض الحائط.
. اختار له ولم يخيّره. ودون أن يستشيره أو حتّى يسأل.
. فكّر في نفسه ولم يتوقّع ما قد يحصل.

* * *

في تلك الأثناء كانت ألين ترقص على أنغام السّعادة. شعرت وكأنّها تطير في السّماء؛ فوق السّحاب ومع الطّيور. شعرت بنفسها خفيفة كقطرات المطر؛ وكأوراق الشّجر الّتي تتلاعب بها الرّياح هنا وهناك.

ارتمت على سرير الأحلام واحتضنت وسادة الأمل؛ وراحت تتأمّل سقف الغرفة دون أن تكفّ عن الابتسامة. كانت عيناها تلمعان كنجمة في ظلمة ليل حالك. لم تستطع منع نفسها من التورّط في ذاك الشّعور الرّائع العميق؛ الذّي نعجز عن وصفه مهما حاولنا أو مهما كتبنا؛ إنّه الشّعور بالحب. لم يكن أمامها خيار آخر سوى أن تستسلم لحاضرها. وأن تستمع لصوت قلبها. ساعة واحدة غيّرت حياة كلّ منهما؛ ساعة واحدة حدث فيها ما لم يكن متوقعًا بالنّسبة لكليهما كأن يلتقيا مرّة أخرى

ويجلسا معًا على طاولة واحدة؛ ويتقاسما وجبة الحب بينهما هو الحبّ من أول نظرة. هكذا شهّروا به في عالم الأدب والسينما

. تنفّس باريس؛ فإنّ ذلك يحفظ الرّوح .

ـ فيكتور هوغو ـ

7:00

7:30

7:44

8:00

أشرقت شمس الصّباح أخيرًا منهيةً بذلك صراعًا طويلًا مع الأرق. ولأنّه لم يستطع الانتظار أكثر أرسل لها رسالة صباحيّة عنوانها: { صباح النّور }. ليصله الردّ برسالة مماثلة بعد دقيقة واحدة فقط: { صباح الخيرات }.

تنفّس بعمق وهو يمرّر يده على شعره. ليقرّر بعد ذلك الاتّصال بها على الفور؛ فهو لا يريد أن يفوّت دقيقة من وقته دون أن يستغلّها لصالحه.

ردّت بصوت ناعم:

. ألو. يسعد صباحك .

. وصباحك أسعد. كيف حالك ؟

. بخير؛ الحمد لله وأنت؟

. الحمد لله.

استيقظتِ باكرًا؛ هذا يعني بأنّك لم تنامي جيّدًا ليلة البارحة.

. لا تنسى أنّنا في باريس. لا أظنّ أنّ هناك أحدًا يضيّع وقته في النّوم عندما يكون في مدينة الاحلام.

لقد كانت في قمّة الارتباك حتّى أنّ هذا كان واضحًا من كلامها.

. سررت كثيرًا بسماع صوتك؛ لقد انتظرت حلول الصّباح ليلة كاملة.

ردّت وهي تضع يدها على قلبها تتحسّس نبضاته المتسارعة:

. شكرًا لك؛ وأنا أيضًا لقد سررت بلقائك جدّا.

. ما رأيك بجولة في باريس.

. موافقة؛ على الأقل هكذا لن تظهر في طريقي فجأة مرّة أخرى.

ضحك أمير قائلًا:

. هيّا تجهّزي إذن. لأنّني سأكون بانتظارك.

* * *

أغمض عينيه لفترة وهو يداعب سنسالها بين أصابعه. في الحقيقة هو قلق بعض الشّيء؛ فكلّ شيء حدث لم يكن متوقّعًا أبدًا بالنّسبة إليه؛ تساءل في قرارة نفسه: ماذا سيحصل إن عرفت ماضيه؟ لطالما كان الماضي نقطة ضعفه؛ هو أشبه بكابوس

لازمه أيّامًا؛ وشهورًا وسنوات. طرد تلك الأفكار المزعجة من ذهنه؛ ثمّ نهض وتوجّه إلى الحمام؛ استحمّ على عجل؛ وخرج منه وهو يدندن بكلمات لأغنية فضل شاكر « خدني معك بالجوّ الحلو» ؛ ارتدى قميصًا أبيضًا أضاف عليه سترة سوداء صوفيّة؛ وسروالًا أسودًا. ثمّ اقترب من المرآة وهو يعدّل من ربطة عنقه؛ فقد بدت له أنّها مائلة نوعًا ما؛ أضاف رشّة من عطره المميّز « جورجيو أرماني كود» ؛ لتكتمل أناقته بمعطف أسود وساعة ذات صنعٍ سويسري «.omega»

* * *

في حين استغرقت ألين وقتًا طويلًا لتقرّر ما سترتديه. فعلى الرغم من أنّها تمتلك جميع أنواع الملابس وبمختلف الألوان والماركات؛ إلاّ أنّها تقف دومًا في حيرة من أمرها أمام اختيار ما ستلبس كلّ صباح. حرّي بها أن لا تتأخّر أكثر؛ لبست باستعجال سروال جينز؛ وبلوزة رماديّة أضافت عليها جاكيتًا جلديًا أسود اللّون يحملان ماركة « فيرزاتشي » ؛ وانتعلت حذاءًا جلديًّا من « دولتشي آند غابانا»؛ وقبّعة « شانيل» . أضافت رشتين من عطر « إيف سان لوران » الّذي اقتنته

مؤخرًا. رتّبت خصلات شعرها الذّهبيّة ثمّ قبلت نفسها بالمرآة. حملت حقيبتها الصّغيرة « لويس فويتون « وغادرت الشّقة على جناح السّرعة؛ فقد كان من الجدير لها أن لا تتأخر.

* * *

ذهبا أولاً إلى مطعم عريق في فرنسا يدعى: « La duree» إضافة إلى أنه مقهى هو واحد من المخابز الرّاقية المتخصّصة في صنع الحلويّات الفرنسيّة. تنبعث من الدّاخل رائحة قهوة وحلوى لذيذة؛ راحت ألين تشرح له سحر طعم (الماكرون) الذّي يقدّمونه وخاصّة ذو اللّونين: الأخضر والأحمر منه. والّذي ترجع فكرة تشكيله بالشّكل الذّي يعرف به حاليًا؛ إلى « بيرير ديسفونتيس » حفيد لويس لادوريه.

السّاعة العاشرة وعشرون دقيقة:

تنزّها في ميدان الكونكورد. الذّي تمّ تصميمه في عام 1755 من قبل: { جاك غابرييل } ويحتل هذا الأخير موقعًا مميّزًا في قلب المدينة السّاحرة « باريس ». كما التقطا معًا صور سيلفي رائعة؛ إلى جانب أهمّ المعالم الّتي يضمّها الميدان؛ كالنّافورة المزيّنة بتماثيل ذات زخارف مذهلة؛ والمسلّة المصريّة الشّهيرة

الّتي تمّ إهداءها لفرنسا خلال القرن التّاسع عشر وذلك في عهد رمسيس الثّاني.

توقّفوا قليلًا أمام أحدى المحلّات التّجاريّة الّتي تحيط بالميدان إلى جانب المقاهي والمطاعم. لاقتناء مجموعة من الهدايا والمجسّمات التّذكاريّة. حيث قدّم كلّ منهما للآخر هديّة مميّزة للذّكرى.

تشير السّاعة الآن إلى تمام منتصف النّهار:

تناولا وجبة خفيفة في إحدى المقاهي ذات الإطلالة الرائعة؛ الموجودة داخل حديقة التويلري. ألحّت ألين على أمير بأن يركب معها في عجلة (فيريس) الدوّارة؛ والّتي ساعدتهم على رؤية الحديقة من الأعلى؛ إلى جانب مجموعة من القطع الباريسيّة: كنهر السّين وغيرها من المعالم التّاريخية الرائعة.

السّاعة الثّانية زوالًا:

هما الآن يجلسان إلى جانب إحدى البحيرات الصّناعيّة الموجودة هناك؛ تزيّنها نافورة مميّزة في المنتصف؛ وتضمّ بعضًا من الطيّور المختلفة : كالإوزّ والنّورس....

لاحظ أمير أن ألين ترتعش؛ وقد احمرّت وجنتاها من شدّة البرد. فخلع معطفه ووضعه على كتفيها. وعلى حين غفلة منها؛ وضع بين يديها سنسالها الّذي سقط منها ذات صباح.

تفاجأت عند رؤيته. قالت بتعجّب وهي تتفحّصه بعينيها:
. إنّه لي. أخبرني أين وجدته ؟ لقد بحثت عنه كثيرًا لكنّني لم أجده.
ردّ مبتسمًا وعيناه الخضراوان تنظران إليها بعمق:
. وأنا بحثت عنك كثيرا بقدر ما بحثتي عنه. وجدته على الأرض في المكان الّذي تصادفنا فيه لأوّل مرّة. حاولت اللّحاق بك حينها لكنّك اختفيت من أمامي بسرعة؛ ومنذ ذلك اليوم وهو معي.
أحسّت ألين بأنّ الدّماء تتدفّق حارّة في وجهها؛ فطأطأت رأسها من فرط الخجل.
هي لا تستطيع أن تنكر أن كلامه يشعرها بشيء من الرّاحة و الفرحة في آن واحد.
ولأنّ نظراته تربكها؛ قالت له من دون أن تنظر إليه مباشرة:
. شكرًا جزيلًا لك أمير لأنّك احتفظت به؛ أنا ممتنّة لك جدًّا. أنت أعدت لي أغلى شيء على قلبي. هذا السّنسال هو هديّة من والدي في عيدي ميلادي الثّامن عشر. وقد وعدته بأن أحافظ عليه؛ لكنّه سقط منّي دون أن أشعر بذلك. لم أفعل شيئًا؛ هذا واجبي.
لكن تعرفين يا ألين؟ عندما فقدت الأمل في إيجادك؛ هو أعطاني الأمل من جديد. كنت كلّما أراه أشعر بأنّك قريبة

منّي؛ أنا لا أدري ماذا يحصل لي؛ فكلّ الّذي أشعر به جديد علي أنا يا ألين.....

لقد كان على وشك أن يعترف لها بحبّه في تلك اللّحظة. الحب الّذي ولد في قلبه فجأة؛ وفي الوقت الّذي كان فيه يائسًا من كل شيء حتّى من نفسه. لكنّه تراجع؛ والسّبب وراء ذلك هو خوفه من خساراتها. فضّل أمير أن يتقدّم نحوها خطوة بخطوة دون أن يحرق المراحل؛ مشغّلًا بذلك أسطوانة العقل؛ معتمدًا على خبرته في النّساء. وحتّى يسهّل على نفسه مهمّته الصّعبة؛ ويختصر طريقه الطّويل؛ عليه أن يضمن أوّلًا أنّها تبادله الشّعور ذاته. وإلى ذلك الحين سيظلّ الاعتراف بالحب معلّقًا إلى إشعار آخر.

* * *

على عكس ألين الّتي تقضي دينها ولا تتركه معلّقًا؛ فهي لا تتقبّل فكرة أن تبقى مدينة لأحدهم بشيء ما مهما كان بسيطًا؛ ولتشكره على طريقتها؛ دعته للذّهاب إلى السّنيما؛ ومن ثمّا إلى مكان آخر. وكلّ شيء ستفعله سيكون على حسابها الخاص.

لكنّ أمير كان لديه رأي مخالف. طلب منها أن تؤجل ذلك

ليوم آخر؛ لأنّه خطّط مسبقًا بأن يأخذها اليوم إلى مكان ستحبّه كثيرًا على حسب رأيه.

سألته بحيويّة وهي تعيد له معطفه:

. لوين بدنا نروح ؟.

فقال أمير باسمًا:

. مفاجئة.

. ما كنت بعرف إنّك بتحب المفاجئات؛ مثلي بالضّبط.

طيّب. بروح معك؛ بس بشرط.

. يلي هو ؟ .

. المرة الجايي دوري أنا.

وما تقلّي أجليها؛ من هلأ عم خبرك.

ردّ أمير ضاحكًا:

. حاضر؛ موافق.

إنّها الثالثة والنّصف مساءًا:

ذهبا إلى « ديزني لاند». وذلك بعد أن قام أمير بالحجز مسبقًا عبر الموقع الإلكتروني الخاص بديزني لاند؛ لتجنّب الانتظار في طوابير الحجز.

وتعتبر هذه الأخيرة واحدة من أكبر المدن الترفيهيّة حول

العالم؛ حيث المباني الخياليّة من الأساطير؛ والحدائق الخضراء؛ والتماثيل المصنوعة من النّباتات؛ إضافة إلى الأزهار بمختلف ألوانها. عاش كلٌّ منهما تجربة لا تنسى؛ في جوّ يملأه الفرح والسّرور والمفاجآت استمتعوا كثيرًا برؤية الشّخصيّات الكرتونيّة المختلفة والرائعة وهي تتجوّل بينهما: كسندريلا؛ سنوايت؛ ميكي ماوس؛ طرزان؛ والفأر والفأرة ..... استعادوا عبق الطّفولة وضحكاتها البريئة؛ والتقطوا العديد من الصّور التّذكاريّة.

تلك الصّور الّتي تمثّل سعادتهم؛ سيعودان إليها في أيّام وحدتهم؛ ليستأنسوا بها. سيكونان بحاجة إلى جرعة من الصّبر لإسكات صرخات الاشتياق؛ أو آلام الفراق. ستهدئ أعصابهما كلّما تعرّضا إلى نوبة قلق حادّة. وسيضحكان رغمّ أنف تعاستهما. وحدها الذّكريات من تنير الظّلام الّذي داخلهم؛ تدلّهم على الطّريق لأنفسهم إن تمرّدت عليهما قلوبهما ذات يوم .

لا نعلم ما تخبئ لنا الأيّام؛ قد تقابل
شخصًا واحدًا يغيّر حياتك للأبد .
ـ وليم شكسبير ـ .

فكّرت وهي مستلقية على سريرها؛ في حياتها الّتي تغيّرت بين عشيّة وضحاها. فكّرت في أمير؛ وفي أفراد عائلتها؛ الّذين اشتاقت لهم كثيرًا؛ رغم أنّها هاتفتهم آخر مرّة بالأمس فقط؛ إلّا أنّها كانت تشعر ببعض القلق. ولم يهدأ بالها حتّى اتصلت بهم مجدّدًا واطمأنّت عليهم؛ وفي نفس الوقت طمأنتهم على نفسها. فأرسلت لهم جميع صورها الّتي التقطتهم من أماكن كثيرة ومختلفة في مدينة الحب (باريس). فهم بالنّسبة لها حياتها كلّها وسعادتها وأوّل ركن في قائمة أولويّاتها. ألين هي آخر العنقود والفتاة المدلّلة والوحيدة بين أخويها « أرون ونزار «. فإن كان أمير عانا كثيرًا في صغره؛ فإنّ ألين ولدت وفي فمها ملعقة من ذهب. كلّ شيء تطلبه يأتيها؛ ولا تتمنّى شيئًا إلاّ وحقّقوه لها. رغم كلّ هذا هي فتاة خلوقة جدّا ؛ فتاة لم يزدها الثّراء إلاّ تواضعًا. تحبّ جميع النّاس؛ تفرح لفرحهم وتحزن لحزنهم. وإذا طلب منها أحد مساعدة لا تردّه خائبًا؛ وإن كانت

لا تعرف ما يعنيه الاحتياج حقًا؛ لكنّها تدرك جيّدًا حجم المعاناة والألم الّذي يعانيه الكثيرون من حولها.

إضافة إلى أنّها تتمتّع بكاريزما وشخصيّة قويّة؛ هي فتاة طموحة وموهوبة جدًا. وبما أنّ أفقها كان يبدوا حافلاً؛ فإنّ ذلك زاد من همّتها. اختارت السّفر إلى باريس لتعلّم الموسيقى؛ فانضمّت إلى « كونسرفتوار باريس « أو معهد باريس الموسيقي؛ واستطاعت في وقت قصير أن تنال إعجاب الكثيرين؛ حيث اعتبرت من بين الطلاّب المميّزين الّذين سيحظون بمستقبل زاهر.

ثمّ سافرت إلى « ميلانو « عاصمة الموضة؛ وهناك تخصّصت في مجال تصميم الأزياء. رغم هذا لم تتخلّى أبدًا عن حلمها في أن تصير كاتبة. فقد كانت مولعة جدًّا بكتابة الشّعر وقراءة الكتب. حيث شاركت في العديد من المسابقات الأدبيّة والأمسيّات الشّعريّة وفازت بجوائز تقديريّة وتحفيزيّة لموهبتها الشّابة. بعفويّتها وخفّة دمها؛ وبصدقها وطيبة قلبها؛ جعلت كل من يتقرّب إليها يحبّها. فتميّزها وتواضعها جعلاها تحظى بشعبيّة كبيرة بين النّاس.

عش كلّ لحظة كأنّها آخر لحظة في حياتك؛
عش بالإيمان؛ عش بالأمل؛ عش بالحب؛
وقدّر قيمة الحياة.
ـ إبراهيم الفقّي ـ

في صبيحة اليوم التّالي؛ رغبت باريس كعادتها أن تراقص الحب رغم أنف البرد. فلبست حلّة بيضاء جعلتها تبدوا وكأنّها عروس بفستان الزّفاف؛ بعد أن زيّنت الثّلوج كلّ الشّوارع وأسقف البيوت وحتّى الأشجار؛ لم يبقى مكان إلاّ ونزلت به وأسعدته. منظر ينسي الوحيد همومه؛ ويمسح للحزين دموعه. ما أجمل تلك الكريّات البيضاء الصغيرة وهي تنزل من السّماء تخاطبهم: « عيشوا الحياة وابتسموا ». كان الجوّ هادئًا جدًّا ورائعًا. كلّ النّاس في الشّوارع؛ خرجوا لقضاء ساعة أو اثنتين من السّرور والبهجة....

حين عمّ السّلام على أرض باريس؛ لم يعد هناك فرق بين طفل أو عاشق؛ غنيّ أو فقير؛ أبيض أو أسود؛ مسلم أو مسيحي؛ سكّان أصليّون أو مهاجرون. كلّ هذا لا قيمة له الآن؛ فضحكاتهم متشابهة وأن اختلفت أسبابها. تلك الضّحكات أو الابتسامات وحّدتهم؛ وألغت جميع الفوارق الّتي بينهم.

كاختلاف أديانهم وألوانهم ولهجاتهم؛ كلّها لم تعد مهمّة؛ ولن تغيّر من الأمر شيئًا. مادام الكلّ سعيد؛ وكلّ القلوب تغنّي حبًّا .

* * *

بعد أن تلقّت رسالة صباحيّة من أمير؛ كان قد كتب فيها: « ما رأيك بحرب بكرات الثّلج « خرجت ألين على جناح السّرعة وعلى شفتيها ابتسامة عريضة ومشرقة ترجمت شعورها في تلك اللّحظة. ملبّية نداء أميرها؛ فاستقبلها بكرتان ثلجيّتان معلنًا بذلك بداية الحرب البيضاء بينهما؛ كرة بكرة والبادئ أجمل.

كان المشهد رائعًا ومثيرًا. راحت ألين تركض وتقفز كعصفور غادر قفصه مغرّدًا؛ تداعب بيديها كلّ ندفة ثلج ساقطة على وجهها الأبيض المورّد. في حين كان أمير يصوّرها بكاميرا فيديو رقميّة. حرّي بها أن تحاذر أكثر؛ أمسكت بيد أمير لكي تستعيد توازنها؛ لكنّها سقطت وسحبته معها. خيّم الصّمت بينهما للحظات؛ ثمّ انفجرا ضاحكين على حالتهما ولكي تصلح ما فعلته؛ نهضت ومدّت له يدها لكي تساعده على النّهوض؛ وفي الوقت نفسه لكي تعتذر. رتّبا ملابسهما وراحا يمشيان

بخطوات متثاقلة محاذرين أكثر؛ خوفًا من السّقوط مرّة أخرى. تناولا فطورهما في مقهى « الفوكيت « الّذي لا يضاهيه أي مقهى. حيث يضمّ المبنى مقهى ومطعم وفندق الفوكيت. ويعرف إقبالًا كبيرًا من قبل كبار الشّخصيّات؛ والسّكان الأصليّون؛ وكذا السيّاح على وجه الخصوص؛ الّذين يحبون هذا المقهى كثيرًا ؛ وألين واحدة منهم. ففي هذا المقهى بالذّات أقام الرئيس الفرنسي السّابق « نيكولا ساركوزي » حفلًا عند فوزه بالرّئاسة.

ثمّ ذهبا بعد ذلك إلى القصر الكبير التّاريخي والشّهير بباريس؛ بعد أن تحوّل إلى ساحة تزلّج. ليجرّبا متعة التزلّج على الجليد؛ وعلى حلبة تعدّ هي الأكبر في العالم؛ نصب في منتصفها تمثال دبّ من صنع « ريتشارد أورلينسكي». كما أتاحت لهم هذه الفرصة اكتشاف مختلف الأعمال الفنيّة الّتي يقدّمها بعض الرّاقصون على الجليد وتحت أنغام الموسيقى. وهناك استمتعا بقضاء وقت رائع.

إنّها الرابعة والنصف مساءًا:

تحسّن الطّقس أخيرًا؛ واستعادت حركة المرور نشاطها المعتاد؛ بعد أن فتحت جميع الطّرقات؛ ليعمّ بذلك الازدحام والضّجيج على

المدينة من جديد. شيئًا فشيئًا عادت الحياة إلى شوارع باريس. هما الآن يجلسان على أحد مقاعد حديقة « لوكسمبورغ» ؛ حديقة الحبّ والرّاحة. ما يميّز هذه الحديقة هو الجوّ الهادئ الّذي يساعد الزائرين على الاسترخاء؛ والتمتّع بأروع المناظر الخلاّبة الّتي تشتهر بها.

قال أمير وهو يقوم واقفًا:

. انتظريني هنا سأعود على الفور.

. حاضر؛ لكن لا تتأخّر.

أخرجت ألين من حقيبتها مذكّرتها وقلمها؛ وراحت تكتب عمّا يجول في خاطرها. أو بالأحرى لتكتب عن أمير. تصف ضحكته وعيناه؛ ولحيته وقامته؛ وكلّ شيء يخصّه. هي لا تستطيع أن تنكر أنّها تحبّه حقًّا؛ فقلبها اختاره هو تحديدًا دون سواه. وهذا ما تعوّد القلب على فعله دومًا.

لا يستشير صاحبه ولا يسأل.

يسحبه إلى القاع رويدًا رويدًا؛ ثمّ يتركه ويرحل.

ليبقى في صراع بينه وبين عقله؛ حائرًا لا يعرف ماذا سيفعل.

اشترى أمير كوبين من القهوة؛ من مقهى قريب هناك موجود تحت الأشجار؛ وعاد على الفور.

قال وهو يهمّ بالجلوس:

. أعتقد بأنّك تكتبين عنّي.

سارعت ألين لغلق مذكّرتها؛ ثمّ أجابته وهي تفرك عينيها:

. لا. لماذا سأكتب عنك تحديدًا ؟.

. تفضّلي القهوة أولًا قبل أن تبرد.

. شكرًا لك؛ جاءت في وقتها.

. إذن كنت تكتبين شعرًا.

. ليس شعرًا بل رواية؛ أظنّ أنّني أخبرتك مسبقًا بهذا.

تظاهر أمير بالنّسيان؛ فكرّر سؤاله:

. أووو. لا أتذكّر؛ منذ متى بدأتي كتابها؟

. منذ أن تصادفنا لأوّل مرّة.

. أنا محق؛ لا تنكري. لقد كنت تكتبين عنّي.

. حسنًا. معك حق؛ ولا تسألني ماذا كتبت لأنّني لن أجيب.

أمير ضاحكًا:

. أمرك آنستي. لأسألك سؤالًا آخر إذن

. تفضّل.

. هل تؤمنين بالصّدفة ؟ .

. كثيرًا؛ وأنت.

. لا. لكنّني أصبحت أؤمن بها لأنّ لها فضل كبير في تغيير حياتي.

. صدفة غيّرت حياتك. عنوان جميل ومناسب جدًّا لروايتي.

. لا تمزحي يا ألين.

. أجبني إذن. هل تؤمن بالحب من أوّل نظرة ؟.

. نعم ؛ وأنت؟ .

. مثلك تمامًا.

هل سبق لك وأن أحببت ؟؛ أو جمعتك بإحداهن علاقة...؟

لقد فاجئه سؤالها بقدر ما أربكه؛ فقد أحسّ وكأنّ الدّم تجمّد في عروقه .

تشكلّت في ذهنه صورة زوجته الخائنة؛ وابنه بيرم الّذي يحبّه كثيرًا.

أجابها وهو ينظر إليها بأسف:

. لا؛ لم يحدث.

. رجل وسيم؛ وجذّاب؛ ومحترم؛ وفوق كلّ هذا طبيب ناجح.

وتقول لي لم يحدث.

لماذا ؟.

. لم أجد الفتاة المناسبة بعد.

وأنت هل لديك .....

قاطعته ألين:

. لا. ليس لديّ حبيب. ولم يكن لي من الأساس.

كنت أفضّل أن أقع في الحب عن طريق الصّدفة؛ لأنّ الحب الّذي يأتيك فجأة دون أن تستعدّ له؛ يكون له طعم خاص. ومثلما يقال: « صدفة خير من ألف ميعاد».

. كنت حبيبة أحدهم اذن. أنا متأكّد من هذا .

. نعم. إنّه أمر صعب جدًّا عندما تردّ على من أحبّك بالرّفض. خاصّة إن كان شخصًا عزيزًا عليك أليس كذلك ؟؛ من جهة أنت لا تريد أن تخسر صداقته؛ ومن جهة أخرى خائف من جرح شعوره.

. من هو ؟

أعرف انّه ليس من شأني أن أسألك؛ لكنّه مجرّد فضول.

. إنّه صديقي ألكسندر؛ درسنا معًا في باريس. وقضينا أيّامًا رائعة حقّا.

وفي عيدي ميلادي اعترف لي بأنّه يحبّني كثيرًا. ولا يستطيع أن يتخيّل حياته من دوني حتّى أنّه عرض عليّا الزّواج.

. وكيف كانت ردّة فعله عندما رفضتي طلبه؟.

. لقد حزن كثيرًا. فهو حسّاس جدًّا.

أخبرته بأنّني لا أفكّر في الارتباط. وطلبت منه أن نبقى أصدقاء. أتذكّر ذلك اليوم جيّدًا؛ إنّه شعور قاتل.

. هل كانت ساندريلا تؤجل وقوعها في الحب لأنّها تنتظر الأمير ؟.

. ربّما .

أخرج أمير علبة سجائر من جيب معطفه؛ وأشعل سيجارة ليخفّف بها من حجم توتّره.

بقيت ألين تنظر إليه بذهول. ثمّ قالت بنبرة حادّة:

. أتمنّى أنّك لم تكذب؛ حين أخبرتني بأنّك طبيب.

. ماذا سأستفيد إن كذبت في أمر كهذا ؟. أنا طبيب.

. تنهي مرضاك عنه؛ وتقوم أنت باستهلاكه ...!. طبيب وتدخّن أمرك غريب حقًا.

. لا تستغربي؛ فهذه عادة نرثها نحن الشّباب من المراهقة.

يعني أنّا أمارس هذه الحرفة قبل أن أصبح طبيبًا.

.وتسمّيها حرفة أيضا!

* * *

ضحك أمير من ردّة فعلها فطمئنها قائلًا:

. سأحاول الإقلاع عنه. أعطني بعض الوقت فقط.

قالت بتحدّي:

. هل تعدني بذلك؟ .

. أعدك.

أنهت ألين قهوتها؛ لكنّها لم تنهي استجوابها لأمير بعد:

. هل لديك إخوة ؟.

. لا؛ أنا فقط.

. أنت مدلّل إذن ؟.

ضحك باستهزاء:

. لقد نسيت الدّلال منذ أن فارقت والدتي. أمّا والدي فهو رجل قاسٍ جدًّا.

تنهّد بحسرة وهو يبتلع الغصّة بفم يبتسم.

لمست ألين في صوته وجعًا كبيرًا وجرحًا دفينًا؛ وضعت يدها على يده وقالت مطمئنة:

. أعتذر على سؤالي؛ لقد حزنت لموت والدتك .أنا هنا يا أمير تذكّر هذا؛ إن احتجت إلي في يوم ما فسأكون بجانبك ولن أتركك. فنحن أصدقاء.

. أنا أحبّك يا ألين؛ ولم أتخيّل يوما أنّني سأجرّب الحب يومًا. أنا بحاجتك كثيرًا؛ لا تبتعدي عنّي أرجوكِ.

هكذا اعترف لها بحبه وتعبه؛ لكنّ هذا كان فقط في سرّه.

كان يقرّب المسافات بينهما ليكتشفها أكثر. صدقها؛ طبية

قلبها؛ عفويّتها؛ وإقبالها على الحياة كلّها أشياء جعلته يغرق في بحر حبّها العميق. ومع كل يوم يمضي كان يتورّط في حبّها أكثر من اليوم الّذي قبله.

لم تعد المسافة بينهما كبيرة كالسّابق. رغم هذا لم يتجرّأ أحد منهما أن يعترف للآخر بحبّه وما يكنّه داخله من صدق المشاعر والكلمات. تلك المشاعر الدّفينة والمخبئة وراء ستار الكبرياء والعناد. في نظرهما لا يزال الوقت مبكّرًا للتّنازل والاعتراف بالحب.

على كلّ حال لا أحد يدري ما قد يحدث خلال السّاعات القادمة أو الأيّام المقبلة. فهذه الحياة تفاجئنا دومًا بما لا نتوقّع حدوثه يومًا؛ ولن تتوقّف عن فعل ذلك. فهي أشبه بعالم ساحر مليء بالأسرار؛ بقدر ما هو مليء بالمفاجآت.

لهذا فكلّ شخص يظنّ أنّ بإمكانه التكهّن؛ ومعرفة ما تحمله له الأيّام أو ما يخبّئه له القدر؛ فهو أحمق.

* * *

ومرّ أسبوعين كاملين . يوم بيوم؛ وساعة تجرّ أخرى؛ رسالة صباحيّة؛ فموعد؛ فلقاء . أسبوعان جعلا من أمير رجلًا آخر؛

لم تعد تفارق الابتسامة شفتاه. بعد أن أصبح عاشقًا لأوّل مرّة في حياته. شعور لم يجرّبه من قبل ولم يسبق له أن عاشه؛ ربّما هي مشيئة القدر أراد أن يعوّضه عن سنوات الحزن والألم. الألم الّذي أنساه كيف يكون الفرح؛ فرمى في طريقه ألين لتكون سبب خلاصه من الجحيم؛ ولتطفئ نيرانًا أحرقت فؤاده؛ ولتحرّره من قيوده؛ فحولّت الدمعة إلى ابتسامة. والألم إلى أمل. كان بينه وبين الفرح خطوة واحدة؛ أو خيط رفيع جدًّا. صدفة؛ فنظرة؛ فحب. حينها أسدل السّتار على ماضيه الحزين؛ ليعيش حاضره السّعيد. حلم أصبح حقيقة يعايشها كلّ يوم. لم يعد يستطع فراقها؛ لأنّه أصبح جزءًا من حياتها؛ بعد أن قطع تأشيرة الدخول إلى قلبها. ها هو الآن يتربّع على كرسيّ العرش فيه؛ ليجد نفسه بعد كل هذا محاصرًا بين ماضيه وحاضره. أصبح لابدّ له أن يخبرها بحقيقة زواجه الّتي تهدّد مصير سعادته؛ فهو لم يعد قادرًا على التأجيل أكثر .

* * *

بالنّسبة للعالم فإنّك مجرّد شخص؛ لكنّك
بالنّسبة لشخص ما قد تكون العالم كلّه.
ـ براندي ساينـدر ـ

إنّها الواحدة بعد منتصف اللّيل:

لم يستطع أمير النّوم؛ هذا لأنّه مشوّش وقلق جدًّا. كان يذرع الغرفة جيئة وذهابًا؛ ينظر إلى السّاعة من حين لآخر؛ ينتظر طلوع النّهار بفارغ الصّبر.

فتح النّافذة وراح يتنفّس بعمق؛ محاولًا بذلك استنشاق أكبر قدر ممكن من الأكسجين؛ كشخص يختنق. ثمّ عاد ثانية إلى فراشه؛ وضع رأسه على وسادته وأغمض عينيه؛ علّه يستطيع جمع أفكاره المشتّتة. تدور في خاطره تساؤلات كثيرة ومخاوف كبيرة. كخوفه من خسارة فتاته الّتي غيّرت حياته. بقي مترنّحًا بين قلب يقول: أخبرها الحقيقة؛ وعقل يقول : لا تفعل. ماضيه أم حاضره ؟؛ الاثنان خياره.

* * *

في الوقت نفسه كانت ألين تجلس قرب نافذة غرفتها المطلّة على جادة «كليبر»؛ مسندة رأسها على الزّجاج؛ فلم تستطع

النّوم هي الأخرى. لا شيء يشغل تفكيرها في تلك اللّحظة سوى أمير. لقد مضت الأيّام بسرعة على كليهما؛ أيّام انتظرت فيها أن يعترف لها بحبّه؛ لكنّه لم يفعل؛ وهذا ما جعلها الآن تبدو يائسة؛ فلم يبقى أمامهما سوى يوم واحد يجمعهما معًا يوم واحد فقط ويغادران باريس؛ يوم واحد وتنتهي رحلتهما؛ وربّما تنتهي معها قصة حبّهما الّتي لم تبدأ بعد. وهذا ما كان يقلقها؛ كانت متوتّرة بقدر ماهي متأكدة من أنّه يحبّها حقًّا؛ لكنّها لم تكن تجد لتصرّفه تفسيرًا. لتجد نفسها في كلّ مرّة تطرح السؤال ذاته: لماذا لم يعترف لي بحبّه لحد الآن ؟؛ ما الشيء الّذي يمنعه من ذلك يا ترى ؟. سؤال ليس له إجابة أبدًا. وأمير هو الوحيد الّذي يمكنه فعل ذلك.

* * *

الصّداقة جبل شاهق

لا يتسلّقه إلاّ الأوفياء .

ـ أوليفر هولمز ـ

أشرقت شمس الأمل وداعبت بشعاعها شقّة ألين. استيقظت هذا الصّباح على اتّصال من بيروت؛ والّذي كان من أخيها أرون؛ بعد السّؤال على حالها وأحوالها وجديد أخبارها؛ نقل لها سلام أصدقاءها: ملاك وآسيا ورامي بيسلموا علَيْكي كتير؛ إيجوا لعندنا من يومين تا يشوفوكِ؛ كانوا حابين يعملولك إيّاها سوربريز؛ ما خطر ببالن تكوني مسافرة.

أحسّت ألين ببعض الأسى؛ لأنّها فوتت على نفسها جلسة مع أصدقاء عمرها والمقرّبين لها. فقد كانت مشتاقة لهم كثيرًا؛ ومفتقدة لهم جدًا.

ملاك مصباحي؛ آسيا عبد المالك؛ ورامي زايد. هم أصدقاءها من أيام الثّانويّة. فرقتهم ظروف الحياة أربع سنوات؛ لكنّ هذا لم ينسيهم سنوات الأخوّة الّتي قضوها معًا. والّتي تحكي في كلّ يوم من أيامها قصّة صداقة متينة. ضحكاتهم ودموعهم؛ فرحهم وتعاستهم كلّها أوقات تقاسموها لحظة بلحظة؛ رغم مرور وقت طويل عليها؛ إلّا أنّهم لم ينسوا شيئًا منها؛ بل

ظلّت منقوشة على جدران ذاكرتهم. هم ليسوا أصدقاءً فقط بل إخوة بأتمّ معنى الكلمة. لم يجتمعوا لكنّهم بقوا على تواصل دائم. ولم تزعزع سنوات الفراق جدار صداقتهم لأنّه بني على أساس متين. فقد كانوا يدًا واحدة؛ وروحًا واحدة؛ وقلبًا واحدًا. وهكذا تكون الصّداقة الحقيقيّة .

* * *

لقد أفادها اتّصال أرون كثيرًا. كما أفادتها جلسة العلاج التّجميليّة الرائعة الّتي خضعت لها في « سبا بنينسولا» الّذي يحبس الأنفاس بجماله وتميّزه. والذّي يقع في الطّابق السفلي للفندق؛ حيث خرجت منه ألين بكثير من الرّاحة والنّشاط. كتتويج لرحلة الأحلام المليئة بالرّفاهيّة والمفاجآت في مدينة الأناقة والجمال.

شغّلت جهاز التلفاز وهي تحمل بيدها الأخرى صحنًا من الفواكه المشكّلة؛ وضعته على الطاولة الزجاجيّة؛ ثمّ جلست على الأريكة وبدأت بتصفح مجموعة مختلفة من المجلاّت كمجلّة باريس سكوب { عن السّينما والأفلام }؛ ومجلّة سانتيه الخاصّة بالصّحة العامّة؛ وماري كلير النّسائيّة وغيرها دون أن تمتنع عن

تفقّد هاتفها من حين لآخر. وهي الّتي تعوّدت على رسائله اليوميّة عند استيقاظها صباحًا؛ وقبل أن تنام أيضًا. لكنّ اليوم لم يصلها شيئًا منه؛ فقد بدى لها هذه المرّة على غير عادته. حاولت الاتّصال به عدّة مرّات لكنّه لم يجب؛ وهذا ما زعزع هدوء أعصابها. ظلّت مترنّحة بين فكرة تأخذها وأخرى تردّها.

مضت ساعات طويلة على ألين وهي على تلك الحالة تترقّب اتّصاله بفارغ الصّبر؛ حتّى أنّها لم تغادر غرفتها أبدًا. وبينما هي ممدّدة على السّرير؛ عيناها تطالع التلفاز؛ وعقلها في مكان آخر؛ رنّ هاتفها فجأة؛ فأسرعت لالتقاطه. لتتخلّص أخيرًا من جحيم الانتظار وإذا به أميرها الّذي لم تكفّ عن التّفكير به طوال الوقت.

الرّجل الّذي لا تفارق صورته مخيّلتها.

الطبيب الّذي أربك نبض قلبها؛ منذ أوّل مرّة صادفها فيها. فأصبح ملكه وتلك النّبضات المتسارعة لم تكن سوى دليل على حبّها له.

قالت بصوت يرتعش؛ صوت ممزوج بالخوف والفرحة:

. أمير إنت منيح ؟؛ خوفتني عليك؛ خبّرني وين كنت؛ اتّصلت فيك بس ....

قاطعها أمير معتذرًا لأنّه كان السّبب وراء قلقها. أخبرها بأنّه

نسي هاتفه في الغرفة عندما خرج مستعجلاً لقضاء أمر مهمّ.
ثمّ ختم اتصاله قائلاً :
. راح نستنّاك في البهو بعد ساعة من الآن .
لم تخمّن لماذا طلبها؛ ولم تتوقّع ما سيحدث؛ فهذا اليوم سيكون مصيريًّا بالنّسبة لها. إمّا أن يكون فرحة عمر؛ أو خيبة أمل.
قالت لنفسها بصوت مسموع:
. فلنجرّب حظّنا. سنرمي بآخر كرت انتظار لنا على منضدة الأمل؛ فنحن لم نخسر بعد؛ لنستمتع إذن بآخر يوم لنا.

* * *

ارتدت فستانًا أحمرًا من الدّانتيل بقصّة السّمكة؛ ذو أكمام طويلة وفتحة مزيّنة بسلاسل ماسيّة؛ ومعطفًا أبيضًا قصيرًا من الفرو؛ وحذاءً أسودًا بكعب عالي؛ بلون حقيبة يدها.
أمّا شعرها؛ فتفنّنت في تسريحه بضفيرة السّمكة الجانبيّة؛ المنسدلة على الكتف؛ وتركت خصلات منسدلة من الأمام؛ رشّت القليل من العطر على معصم يديها؛ وكذا رقبتها. أخذت نفسًا عميقًا أمام المرآة وغادرت الغرفة.
في تلك الأثناء كان أمير ينتظرها على أحرّ من الجمر؛ ينظر

إلى ساعته كل دقيقة. وللمرّة الأخيرة أعاد ترتيب كلماته الّتي أعادها لخمس مرّات أو أزيد لحد الآن؛ حتّى لا ينسى شيئًا منها؛ كطالب مقبل على اجتياز احدى الامتحانات المصيريّة وخائف من الرّسوب . كان متوتّرًا لأقصى درجة؛ يضرب اخماسًا بأسداس؛ ويطرح أسئلة ويجيب عليها بنفسه؛ لايزال هناك وقت.

تستطيع التّراجع الآن يا أمير.

هيّا تراجع.

هو يعلم جيّدًا أنّه إذا نفّذ ما خطّط له؛ فلن يكون بإمكانه التّراجع بعد ذلك ولو بخطوة واحدة ضرب بيده على الحائط قائلًا بصوت مسموع:

. لن أتراجع .

لم ينتبه لوجودها أمامه حتّى هتفت باسمه:

أمير ما بـ....ك ؟.

بقي ينظر إليها بثبات. واقفًا بين إعجابه بها؛ وخوفه من أن تكون قد سمعت ما قاله.

أمّا هي؛ فلم تكن أقلّ منه ارتباكًا وتوتّرًا.

غمز بعينيه مرّتين ثمّ ابتسم قائلًا:

تشبهين الأميرات فعلًا.

. ما كلّ هذا الجمال يا ألين!

حاولت التّغلب على ارتباكها بضحكة خجولة. طأطأت رأسها قائلة:

. لا تبالغ يا أمير؛ مجرّد فستان سهرة.

. أنا لا أبالغ؛ إنّها الحقيقة .

. شكرًا لك؛ هذا من ذوقك.

وضع أمير يده في جيب معطفه وأخرج قطعة قماش حمراء. قال وهو يلوّح بها:

. آسف. لأنّني سأغلق عينيك بهذه.

. أهي مفاجأة ؟.

. بالضّبط.

أمسك بيدها وراح يمشي معها خطوة بخطوة حتى وصلا إلى حديقة الفندق الّتي تلفت الانتباه وتثير الإعجاب بمجرّد الدخول لها لأوّل مرّة؛ لتجد نفسها تقف وسط قلب من ورود مضاء بالشّموع. وحولها مجموعة من النّاس يحملون لافتات صغيرة تحمل اسمها؛ وضعت يديها على فمها؛ وقد اعتراها ذهول شديد. لم تصدّق ما تراه عيناها؛ ولم تستطع أن تنطق

بكلمة واحدة. كانت تضحك وتبكي في آن واحد.

وفي الوقت الّذي بدأ فيه أحد الموسيقيّين بالعزف على آلة الكمنجة؛ جلس أمير على ركبته وهو يحمل بيده خاتم والدته الّذي لم يفارقه أبدًا منذ وفاتها. وقال باسمًا:

. هل تقبلين الزّواج بي يا ساندريلا ؟.

نظرت ألين يمينًا وشمالًا. تريد أن تتأكّد من أنّ هذا حقيقة وليس حلمًا.

فعلى يمينها توجد اللاّفتات الّتي تحمل اسمها؛ وعلى شمالها أخرى مكتوب عليها باللّغة الفرنسيّة « قولي نعم».

صرخت بصوت عالٍ:

. نعم أقبل؛ أقبل؛ أقبل.

ثمّ عانقته بشدّة تحت تصفيقات الحاضرين. يده بيدها؛ ورأسها على كتفه؛ وراحا يرقصان معًا على معزوفة الحب. كانت تفوح منه رائحة مغرية من البرغموت الممزوجة باللّيمون الطّازج.

همس في أذنها بصوت خافت:

. Je t’aime beaucoup

ردّت دون أن ترفع رأسها من على كتفه:

. Et moi aussi ,Amir, Je t’aime

بما معناه: وأنا أيضًا أمير؛ أنا أحبك.

طلبت منه أن يغمض عينيه للحظات. لم يسألها لماذا؛ فهو يعلم أنّها تخجل من النّظر إليه. شردت في تفاصيل وجهه؛ عيناه؛ شفتاه؛ لحيته الأنيقة؛ رموشه الكثيفة. تريد أن تحفظ ملامحه لآخر مرّة قبل الوداع.

كانت أعينهما تلمع بومضات بهجة وحب عميق. فرح فريد ملأ كيانهما لم يعرفاه من قبل وغمرتهما سعادة كبيرة لا توصف. فقد أصبحا الآن ينتميان رسميًّا إلى منظّمة العشق. اعتراف بالحب في يومه وعلى أرضه؛ فهذا اليوم لم يكن عاديًّا لكليهما فقط. فالرّابع عشر فيفري لا يشبهه أيّ يوم؛ لأنّه خاص ومميّز جدًّا في حياة كلّ العشّاق

بعيدًا عنك لا حياة لي

يا أميرتي؛ ضعي يدك بيدي

ولنسابق العمر قبل فوات الأوان

دعيني أضع رأسي على كتفك

أشكوك ظلم السّنين

وقهر الزّمـان

ضعي بيدك بيدي

ولنسرق من كتاب القدر

ساعة سعادة نتقاسمها معًا...

لنرقص على أجمل الألحان

ونشرب نخبًا لنهاية الأحزان

يا أميرتي؛ ضعي يدك بيدي

ولنسابق العمر قبل فوات الأوان.

فوصل القلب بالقلب عمر

ووصل الحبّ بالحبّ عمران

أحبّـــك

وأعترف أن لا حياة لي من بعدك

يا من تقرئين صمتي

كقارئة الفنجان

فأنت بالنّسبة لي الدفء والحياة

ومنبع الحنـــان

يا أميرتي؛ أعطني يدك

ولنأخذ بيد هذا الحبّ إلى برّ الأمان

ربّما لم يرغب المرء في الحبّ؛
بقدر رغبته في أن يفهمه أحد.
- نزار قبّاني -

00:00

تمام منتصف اللّيل.

ذهبا إلى جسر الفنون أو ما يسمّى بجسر الحب. وهناك علّقا قفل حبّهما؛ بعد أن كتبوا عليه أسماءهما وتاريخ حبّهما { 14 فيفري 2013}. ذلك القفل الّذي علّقت معه أمنياتهما؛ كأن يجتمعا في أقرب وقت وإلى الأبد.

قال لها وهما يمشيان بخطوات بطيئة تحت رذاذ المطر:

. أنت شمسي في شتائي الممطر.

أمّا هي فأمطرته بكلمات غزليّة وبمختلف اللّغات:

بالفرنسي. Je t'aime.

بالإنجليزي. I love you.

بالتّركي. seni çok seviyorum.

قاطعها أمير وهو يمسك بيديها:

. وبالعربي؟.

. بحبّك.

بموت عْليَك.

. عاوديها مرّة أخرى.

. بحبّك؛ بموت عْلَيْك.

. زيديني مرّة.

. بحبّك؛ بحبك؛ بحبك؛ بحبك؛ بحبك؛ وبموت عْليَك.

طبع بقبلة على جبينها وهو يقول:

. إنت أجمل شي صار معي.

ألين...

. نعم أمير.

. ما قلتليش بلّي تعرفي تحكي تركي.

ضحكت قائلة:

. بحبها كتير لهيدي اللّغة بالذّات.

خلص راح علمك ياها من يوم ورايح .....

توقّفت فجأة وقد تغيّرت ملامح وجهها. قالت بصوت مكتئب:

. أمير قولك أبوك راح يوافق.

ردّ مطمئنًا:

. حتّى لوما وافقش؛ راح نجي نخطبك.

. أمير ما بديّاك تندم بعدين. بكفّي إنّك عرضت عليّ الزواج

قدّام كلّ العالم. وهيدا الشّي أثبتلي إنّك صادق؛ مشان هيك راح ارجع أعطيك شويت وقت تا ترجع تفكّر مرّة تانيي؛ وتحل كل مشاكلك. مابدّي نستعجل بالزّواج هلأ وبعدين نلاقي بطريقنا ألف مشكلة. هيك ماراح منكون مرتاحين.

. ألين أنا....

وضعت ألين يدها على فهمه وقالت:

. أششش؛ خليني كفّي حكيي.

أمير أنا بس ما بديّاك تزعل؛ إنت بتعرف بيّك كتير منيح؛ أنا مشانك عم احكي هيك.

مش حابّي تصير مشكلة بيْنك وبيْنو بسببي؛ وحطّك بموقف إنّك تنقّي بيْناتنا. ما بدّي يصير هيك معك. إنت فاهمني.

تنّهد قائلاً:

. أكيد فاهمك حبيبتي. والحق معك.

نوعدك إنّي راح نعمل المستحيل حتى تكوني ليّا.

ومهما يصرى معانا خليك متفكره أنّي نحبّك برّاف ومستحيل نتخلى عليك.

ردّت باسمة:

. طيب. وإنت كمانا خليك متذكّر إنّي بحبّك كتير.

بس كيف بدّي صدق إنو خلص؛ هيدي آخر ليْلي إلنا مع بعض ...
مش مصدقه أنّو راح نفترق .
قبّل يديها قائلًا:
. تأكّدي أنّو راح يكون فراق مؤقت؛ وبعدها راح نكونوا مع بعضنا للأبد.
. يا ريت.
نزعت من رقبتها سنسالها ووضعته في يده وأغلقتها عليه .
. حبيبي خلّي هيدا معك. اعتبروا ذكرى منّي لإلك؛ نحنا ما منعرف بكرا شو مخبيلنا؛ بركي ما رجعنا تلاقيْنا. هوّي راح بيظل يذكرك فييّ .
. بعيد الشّر يا ألين ما تحكيش هك .
والسّنسال هذا هديّة من والدك. مستحيل نقبلوا .
وحاجة ثانية : أنا مش راح ننساك حتّى نتفكرك؛ أنت حياتي يا ألين فهمتي وإذا حكيتي هك مرّة أخرى راح نزعل منك .
. مش أنت لبستني خاتم إمّك الله يرحما. من يوم ورايح ماعاد في أنت وأنا؛ في نحنا؛ لأن إنت وأنا صرنا واحد مش هيك .
. أكيد يا عمري .
. بوعدك إنّي ما إتركك؛ وراح ظل حدّك لو شو ما صار .

أحسّ أمير بأنانيته؛ تمنّى لو أنّه يستطيع إخبارها بالحقيقة. هو خائف من خسارتها؛ وحتّى من تلك الوعود الّتي قطعها لها؛ إن أخبرها حتمًا ستنتهي قصّة حبّهما قبل أن تبدأ. لهذا لن يجازف بفعل شيء كهذا.

. وأنا يا ألين راح نعمل المستحيل حتّى أسعدك.

نظرت إليه والدّموع تملأ عينيها:

. بدّي توعدني ظلّك متذكرني وما....

جذبها إليه بقوّة وعانقها عناقًا طويلاً مؤكّدًا لها بأنّه لن ينساها أبدًا ومهما حدث.

ثمّ سارع لمسح دموعه الّتي نزلت رغمًا عنه وقبل تراهم. تلك الدموع ترجمت حسرتهما على انتهاء الأيام الجميلة الّتي عاشاها معًا والّتي احتضنتها باريس بكلّ حب.

تلك الدّموع كانت تعني حزنهما الشّديد على فراقهما المحتّم.

قال بصوت يملأه الوجع:

. وهل يمكن للمرء أن ينسى روحه يا ألين؟.

كيف لي أن أنسى سعادتي الّتي هي أنت؟.

كيف لي أن أنسى سبب ضحكتي؛ وفرحتي بعدما وجدتها ؟.

هذا أمر مستحيل.

* * *

قبل أيام فقط لم تكن موجودة في حياته. لم يخطر بباله يومًا أنّه سيجد نصف الثّاني؛ وفتاة أحلامه الّتي انتظر لقاءها طويلًا وحلم بها كثيرًا. كانت مجرّد أمنية بالنّسبة له؛ لتصبح الأمنيّة واقعًا. تلك الأمنية هي نفسها الحقيقة الّتي تقف الآن أمامه؛ وأصبحت موجودة في حياته؛ وتسكن عقله وروحه وكيانه. لقد استحقّ كلاهما هاته السّعادة؛ ذلك الشّعور الّذي افتقده أمير لسنوات. فألين كانت أمله في وقت كان فيه بلا أمل.

* * *

من هذا الّذي وقع في الحب إن لم يكن
قد وقع فيه من النّظرة الأولى.
ـ كريستوفر مارلو ـ

بقلب خافق بشدّة؛ وعينان دامعتان؛ وقُبل خاطفة؛ وعناقٍ لم يدم طويلًا. ودّع العاشقين بعضهما تحت السّماء الماطرة نفسها الّتي اجتمعا تحتها صدفة. في لقاءهما الأوّل بكت السّماء فرحًا لأجلهما؛ وها هي الآن تبكي حزنًا لفراقهما. بعد أن التقطوا آخر صورة تجمعهما على أرض النّور «باريس» قبل أن يودّعاها. ليعودا إلى أوطانهما محمّلين بالكثير من الحب؛ وبأعين حالمة تتطلّع للمستقبل بأمل كبير. ذلك المستقبل القريب البعيد الّذي أصبحا يخططّان له سويًّا.

باريس تلك المدينة السّاحرة؛ المليئة بالحب والكثير من المفاجآت باريس مدينة الحب والأحلام؛ لم يطلق عليها هذا الاسم عبثًا.

الوداع الأخير

قد حان موعد الرّحيل يا أمير الحب

وآن الأوان لنفترق

هو يقف عند بابنا الآن

يريدنا أن تستعجل

طلبت منه أن ينتظر

حتّى أرتدي ملابسي؛ وأرتّب شعري؛

وحتّى أضع قليلًا من الرّوتوشات

لأخفي حزني

طلبت منه أن ينتظر

فأنا لن أسمح له بالّدخول بيننا

حتّى أشتري منك ما يكفيني لإشباع بطن

الاشتيـــاق

أعطني لو سمحت:

كيلوا عناق

وبخمسين دولارًا قُبلات

عشرة منها على الجبين

وعشرة على الرّقبة

والثّلاثين المتبقيّة لنوزّعها بالتّساوي

على اليدين؛ والخدّين؛ والعينين

دعنا نتبادل كلّ شيء قبل الوداع

دعنا نتقاسم الحب؛ والغزل

وحتّى الصّمت والعطر

دعنا نقوم بطقوس الوداع كما يجب

لننثر على البحر وردًا

لنكتب قصائدًا؛ ونؤلّف ألحانًا

ستكون لنا أغنية تحكي قصّتنا

لأجل حبّنا سننشدها

ولأجلــنا

ولأجل أن يدوم الّذي بيننا

ستذكرنا باريس يا أمير الحب

شبرًا بشبر

ستذكرنا حدائقها؛ وساحاتها؛ وشوارعها

ستذكرنا بكلّ ما فيها

من ازهار؛ من أشجار

من طيور؛ وأنوار

وحتّى من أسرار وحب

ستذكرنا كلّما اجتمع فيها اثنين

ووقفوا على أرضها؛ وأصبحوا

عاشقيـــن

سيذكرنا الكونكورد الّذي فيه تجوّلنا

ستذكرنا المقاعد الّتي فيها جلسنا

سيذكرنا اللّوفر؛ وجادة الشانزاليزيه

حيث تقابلــنا

سيذكرنا جسر الفنون أين علقنا

قفل حبّنــا

حيث تمشّينا؛ حيث تعاهدنا

ودعونا ربّنا

بأن يدوم الّذي بيننا

ستذكرنا باريس يا أمير الحب

سماءها وأرضها

نجوم ليلها؛ وشمس صباحها

ستذكرنا باريس بكلّ أماكنها

أمّا الآن لنسدل السّتار على أعيننا

ونلصق ابتسامة كاذبة على شفتينا

لنمثّل الفرح يا أمير الحب

فالوداع يا عزيزي لن يمهلنا

دقيقة أخرى زائدة

فلنفتح له الباب معًا؛ ونرحّب به كما يجب

يمكنك أن تنسيني كلّ شيء؛
إلاّ ما تعلّمته من أمّي .
ـ الرّئيس الأمريكي نيكسون ـ

السّاعة الآن:

العاشرة صباحًا بتوقيت الجزائر.

كطفل صغير يحنّ إلى حضن أمّه؛ جلس أمير بجانب قبر والدته؛ وراح يكلّمها كما يفعل دائمًا. يبثّها شوقه الكبير لها وكلّ ما بخاطره؛ لكنّ هذه المرّة تختلف كثيرًا عن المرّات السّابقة. قال بصوت هادئ:

. توحشتك بزّاف يا ماما؛ ياريتك كنتي معايا هاد المرّة. محتاجك أكثر من اي وقت جيتك اليوم حبّيت نفرحك؛ ونقلّك راني تبدّلت؛ على بالي هاد الشّي راح يفرحك وفي نفس الوقت راح تستغربي وتقولي كيفاه صار هكا ؟. ولّيت نضحك دايمًا بعد ما رجعت فيّا الرّوح لأوّل مرّة من بعد ما رحتي إنت وخليتيني وحدي. هذي المرّة الأولى لي نحكي فيها معاك من غير ما نقلّك واش دار بابا؛ وبلا ما نشكيلك تعبي وهمّي زي كلّ مرّة. هيّ يلي بدلتني يا ماما. حبيتها من أوّل مرّة شفتها فيها؛ نسّتني كلّ أحزاني؛ وخلتني نبدى حياتي من جديد. اسمها

ألين؛ تعرفت عليها في باريس صدفة. هي تاني تحبني بصّح هي ما تعرفش حقيقة زواجي؛ وهذا الشّي لي مخلّي فرحتي ناقصة علبالي كلامي هذا مش راح يعجبك؛ وراح تلوميني وتقولي علاه خبّيت عليها. علمتيني نحب؛ ونسامح؛ ونكون إنسان صادق بصّح المرّة هذي كلّشي خرج على سيطرتي؛ صدقيني مش بيدي. كذبت عليها خاطر كنت خايف نخسرها. مستحيل يصرى الشّي هذا. مانقدرش نخلّيها بعد ما لقيتها. راني ضايع ..... دلّيني يا ماما.

تحدّث أمير مع والدته حديثًا طويلاً؛ حتّى ارتاح قلبه. ثمّ قبّل ترابها ووعدها بأن لا يتأخّر على زيارتها.

في قلب كلّ شتاء ربيع يختلج؛
ووراء نقاب كلّ ليل فجر يبتسم
ـ جبران خليل جبران ـ

ألقى أمير جولة أخيرة على مرضاه وعاد إلى مكتبه. علّق مئزره ثمّ وقف لدقائق أمام شاشة حاسوبه. وعلى حين غفلة فتح أحدهم الباب وهو يقول:

. نبض قلبي ضعيف؛ هلاّ عاينتني يا دكتور؟

رفع أمير رأسه؛ وإذا به صديقه ضرار؛ فردّ ضاحكًا:

. أهلا بك تفضّل.

ثمّ عانقه قائلاً:

. لكن إذا كان هناك شخص بحاجة إلى معاينة فهو أنا يا صديقي.

قال ضرار وهو يهمّ بالجلوس:

. وينك يارجل توحشتك... طوّلت الغيبة.

احكيلي واش عندك جديد.

ابتسم أمير وأجابه من دون أن يرفع رأسه؛ حتّى لا تفضحه عيناه:

. من وين الجديد يا أخي؛ شوفت عينك.

. لا صدّقتك.

أمير على شكون تكذب؛ كاشفك أنا تهنى؛ يلا قول.

نهض أمير وهو يرتّب أوراقه المبعثرة على المكتب محاولاً بذلك التهرّب من أسئلة ضرار ثمّ ألقى نظرة على ساعته قائلاً:

. تأخّر الوقت ياضرار. أنا تعبان ونظن إنت تاني نفس الشّيء. خلّينا نروحوا.

ضرار ضاحكًا:

. ماشي. أمّا وراك وراك والزّمن طويل.

* * *

عاد أمير إلى بيته منهكًا جدّا؛ بعد ساعات طويلة قضاها في المشفى. ارتمى على سريره ودون أن يرتاح ولو قليلاً؛ حمل هاتفه واتّصل بحبيبته؛ فقد اشتاق لها كثيرًا.

ردّت دون أن تتأخّر عليه دقيقة واحدة وكأنّها كانت ترقب اتّصاله منذ وقت طويل:

. ألو أمير؛ ليش طوّلت عليّ. ما اشتقتلّي يعني.

أغمض عينيه مبتسمًا؛ فصوتها بعث داخله شيئًا من الرّاحة؛ قال بصوت هادئ:

. هذا وين رجعت ع البيت. كنت تعبان بزّاف؛ أمّا درك خلاص راح التّعب.

توحشتك يا ملاكي.

. اشتقتلّي بس هيك ؟.

ضحك أمير قائلاً:

. نحبك؛ ونموت عليك.

وضعت يدها على قلبها تتحسسّ نبضاته المتسارعة:

. وأنا كتير بحبك يا عمري.

أمير بدّي خبرك شي....

. قولي يا روح أمير.

. في شي تذكّرتوا؛ كنت بدّي خبرك ياه لما كنّا بباريس؛ بس ما قدرت.

. شوقتيني؛ يلا قوليلي.

قالت وهي تلعب بخصلة شعرها:

. أنا بعرفك من قبل ما نلتقي.

شعر للحظة بارتعاش قويّ في أطرافه؛ وقلق امتزج بدمائه. لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة.

. ألو؛ أمير عم تسمعني؟ .

. سامعك حبيبتي؛ كملي... كيفاه تعرفيني ما فهمتش؟.

. شفتك بمنامي قبل ما إلتقي فيك.

تنفّس أمير ببطئ وهو يمسح على وجهه قائلاً:

. أحكيلي حبيبتي؛ واش شفتي في منامك ؟.

. شفت إنّك إيجيت إنت وخالتك وخطبتني؛ بس الماما خبّرتك إنّو أنا ما بعرف أطبخ. وخالتك قالتلك لا تتزوّجها ما بتناسبك؛ وإنت سمعت حكيا. درتلّي ضهرك ومشيت؛ ظلّيت ناديك كثير بس ما كنت ترد عليّ.

إنفجر أمير ضاحكًا:

.حبيبتي معقول أنا نخليك لسبب كيما هذا

قوليلي؛ أنا بالذّات يلّي شفتيني بمنامك ؟.

ردّت بغضب:

. هلأ أنا عم حاكيك عن جد؛ وإنت قاعد عم تضحّك.

خلص ماعاد احكي شي.

أمير ملحًّا:

. إذا تحبيني قوليلي؛ شفتيني أنا شخصيًّا. نفس الملامح؛ نفس كل شي.

. أي نعم إنت بذاتك؛ يعني منّك مصدق حكيي.

. لا؛ حبيبتي أكيد مصدقك.

أميرتي ...!

. شو بدّك؟ مش قلتلّك ماعاد إحكي شي.

. نحبّك.

. وأنا بموت علَيْك.

. تعرفي ألين؛ من أوّل يوم شفتك فيه حبيتك.

براءتك؛ ضحكتك؛ عفويّتك. ساعتها حلفت إنّك ما تكوني لغيري .

. عن جد وأنا كمان حبيتك من أوّل مرّة شفتك فيها.!

لوما إنت ظلّيت دوّر عليّ؛ يمكن ماكنّا حبّينا بعض وقاعدين هلأ وعم نحكي.

مبسوطه كتير إنّي معك حبيبي.

أنا يلي محظوظ فيك.

وجد نفسه يواصل:

. ما قلتليش واش قاعدة تعملي؟؛ أكيد بإيدك مذكّرة وقلم وتكتبي.

. لا. كنت عم حضّر مجموعة تصاميم لفصل الرّبيع والصّيف؛ بتعرف ما بقى في وقت كتير ع العرض.

. واش صمّمتي حبيبتي؟ .

. بدلات رجاليّة ...لأوّل مرّة برسم شي رجالي.

البابا وأرون بس يشوفوهن أكيد راح يطير عقلن فيهن.

. ما عندي شك يا ملاكي؛ راح تنجحي بالعرض أكيد.

. إن شاء الله.

لوما كنت إنت بحياتي؛ ماكانت إجتني هيدي الفكرة.

لما بشوف صورك بتجيني الأفكار؛ إنت مصدر إلهامي.

. نحبّك ساندريلا.

. وأنا أكتر.

. لا أنا نحبّك أكثر ما إنت تحبّيني.

. لا أنا. يلي بحبّك أكتر منّك.

. مستحيل. أنا نحبّك أكثر ألين.

. أمير خلص. بطّل يكون في حدن أكتر من التّاني.

أنا ويّاك منحب بعض وهيدا الشّي بكفّي.

. المهّم تكوني معيا؛ وما يهمّني شي ثاني

إنت بالنّسبة ليّا حياتي يا ألين.....

نامت ألين على صوت حبيبها. فيما بقي هو ممدّدًا على سريره ينظر إلى سقف الغرفة. يفكّر في مصير العلاقة الّتي بدأت بكذبة. يوم بعد يوم؛ وساعة تلوى الأخرى؛ يكبر حبّه لها وتكبر معه مخاوفه من فقدانها ذات يوم.

لم تكن المسافات تشكّل عائقًا بينهما؛ بل كانت اختبارًا لهذا الحبّ. كان يكتشف في كلّ يوم يمضي؛ وبعد كلّ مكالمة أو رسالة؛ أنّها هي الّتي لا تشبهها أنثى. لم يشعر أبدًا ببعدها رغم

المسافات الّتي بينه وبينها... ألين هي الحبيبة القريبة رغم البعد. اهتمامه بها أصبح عادة لا يمكنه الاستغناء عنها. يبدأ يومه معها برسالة صباحيّة أو مكالمة وينهيه بقبلاته المرتخيّة الّتي يرسلها لها كلّ ما سنحت الفرصة وسمع صوتها الرنّان الّذي يتردّد في صدى أذنيه كمقطوعة موسيقيّة تساعده على الاسترخاء. تطرب مسامعه بكلمات غزليّة مختارة بدقّة؛ عازفة بذلك على أوتار قلبه الّذي ينبض فقط لها وبها وإليها. وهي الّتي أعادته للحياة بعد موت طويل.

لكنّ حبّها له وصدقها معه كانا يشعرانه بالذّنب بقدر ما كانا يسعدانه جدًّا. والسّبب هو ضميره الّذي يؤنّبه كلّما وضع رأسه على الوسادة.

. تحبّها وكذبت عليها وأنت تنظر في عينيها.

. تحبّها وخدعتها وهي الصّادقة معك.

.تحبّها لكنّك كنت أنانيًّا معها؛ فكّرت في نفسك ولم تحسب حسابًا لها.

. فكّرت في سعادتك؛ ولم تفكّر في حزنها إن علمت بما تخفيه عنها.

ضع حدًّا لهذا يا أمير. أثبت لها أنّك صادق في حبّك؛ وأنقذ سفينتك قبل الغرق.

* * *

لا فرق بين خيانة الضّمير؛

وخيانة الواقع سوى التّنفيذ.

ـ عبّاس محمود العقاد ـ

مضت ساعة على استيقاظ أمير. ارتدى بدلته وحذاءه الرياضيين؛ وذهب للجري مع الصّباح الباكر. كي يحسّن مزاجه و يتخلّص من التوتّر والقلق الّذي سيطر عليه ليلة كاملة فالجري يساعده على تعديل ساعة جسمه البيولوجيّة؛ ويحفّزه على إفراز هرمون الأندروفين اقتنى من أحدى الباعة؛ جريدة وقارورة ماء كبيرة شربها على الفور وعلى أخر قطرة. ثمّ عاد إلى البيت بعد أن نفذت طاقته؛ فقد أحرق كميّة كبيرة من السّعرات الحراريّة. استحمّ وغيّر ملابسه؛ وجلس لتناول وجبة فطور صحيّة تكوّنت من: موزة واحدة وثلاثة من بياض البيض و كوب حليب أضاف إليه ثلاث ملاعق من الشّوفان. وبما أنّه لا عمل لديه هذا اليوم؛ قرّر أن يزور ابنه بيرم فقد اشتاق له كثيرًا.

ركن سيّارته قرب منزل كبير. قرع الجرس مرّتين متتاليتين وابتعد عن الباب؛ وماهي إلاّ لحظات حتّى فتحت الخادمة.

قالت مرحّبة:

. أهلا بيك سيّد أمير.

ردّ باسمًا:

. صباح الخير؛ بيرم هنا؟ .

. نعم؛ تفضّل.

نزلت رانيا درجات السلّم خطوة بخطوة؛ قالت وهي تبتسم بمكر:

. أووووه؛ شوفوا شكون جانا اليوم!

لم يكلّف نفسه بالنّظر إليها. التفت إلى الخادمة قائلاً:

. وجدي بيرم وجيبيه؛ اليوم راح يبات عندي.

تدخّلت رانيا:

. لازم تطلب الإذن منّي الأوّل.

ضحك أمير باستهزاء:

. لا في هذي معك حق. قصدك لازم نطلب الإذن من عشيقك قبل.

شعرت بتوتّر كبير. حاولت أن تحافظ على برودة أعصابها أمامه؛ فسكتت للحظات ثمّ ردّت موضّحة:

. لا إنت تحبني ولا أنا نحبّك. زواجنا من الأوّل كان مصلحة حتّى بابا وعمّي يحافظوا على الأملاك والشّراكة يلي بناتهم. إنت تعرف أنّو إسم العيلة عندهم أهم من سعادتي وسعادتك.

لم يرد أمير على كلامها. فقد كانت محقّة في كل ما قالته.

ركض بيرم إلى حضن والده وعانقه قائلاً:

. توحشتك بزّاف.

قبّله أمير من خدّه وجبهته ثمّ حمله وهو يشمّ رائحته:

. وأنا يا روح بابا.

اليوم راح نديك معايا.

فتح بيرم ذراعيه وهو يهتف:

. عاش بابا الأمير... عاش ... عاش.

عانقه أمير ثانية وهو يقول ضاحكًا:

. يسلملي البطل.

وبينما هو يهمّ بالانصراف؛ أمسكت رانيا بذراعه قائلة:

. دير بالك عليه أمير.

إلتفت إليها وقال بفتور:

. بيرم ولدي مثل ماهو ولدك؛ ما تخافيش عليه.

نظرت إليه نظرة لم يفهمها كانت ستقول شيئًا ما لكنّها تراجعت.

تعجّب أمير من أمرها. هدوءها؛ طريقة كلامها؛ هذه المرّة الأولى الّتي يتكلّمان فيها من دون أن يتخاصما. والمرّة الأولى أيضًا الّتي تتكلّم فيها معه دون أن تستفزّه بكلامها كعادتها

ركب سيّارته ووضع حزام الأمان له ولابنه. ثمّ وضع يديه على المقود من دون أن يشغّل المحرّك؛ بقي يفكّر في كلّ كلمة قالتها له رانيا؛ وفي تصرّفاتها معه. ضرب بيديه على المقود بقوّة قائلاً: . إن شاء الله ما تكونيش تحضري لموصيبة جديدة.

نعرفك إذا سكتّي؛ أكيد مخبيا حاجة وإلاّ ما نعرفها يا رانيا.

تبعث لك الأقدار أشخاصًا رائعين؛
وجغرافيّة الأرض تغيضك بالمسافة.
- نزار قبّاني -

بيروت ـ لبنان
السّاعة 14:00 زوالاً.

كانت تجلس خلف مكتبها. تداعب القلم الأسود بين يديها؛ تحاول وضع اللّمسات الأخيرة على تصاميمها. نزلت خصلة متمرّدة على عينيها كعادتها؛ أبعدتها بلطف وهي تبتسم. كأنّ تلك الخصلة ذكّرتها بشيء ما ؟... نعم في أميرها ذكّرتها؛ وإلى أيّام العشق في باريس أعادتها. الأيّام الّتي لم تنسى لحظة منها؛ حتّى أنّها ترجمت حبّها على كلّ التّصاميم الّتي رسمتها؛ والّتي من صورة حبيبها استوحتها. ربطة العنق بالأحمر لوّنتها؛ اللّون نفسه الّذي اختاره أمير في عيد الحب. أحسّت بسعادة كبيرة غمرتها... وضعت القلم من يدها؛ وجمعت جميع أوراقها ورتّبتها ثمّ استلمت هاتفها وأرسلت لأميرها رسالة غراميّة بحروف الشّوق كتبتها؛ وبسلامها وقبلات غرامها ختمتها. ألقت نظرة على ساعتها؛ كانت عقاربها تدور بثقل ممّل. تنهّدت وهي تضع رأسها على مكتبها وأغمضت عينيها؛

تساءلت في قرارة نفسها؛ كيف ستكون نهاية قصّتها؟. هل ستنتهي بحب وسعادة كما بدأتها ؟؛ أم سيكون الحزن والدّموع مسك خاتمتها؟. أسئلة كثيرة في داخلها حيّرتها. نزلت من عينها دمعة من شدّة الإرهاق مسحتها؛ كانت لديها رغبة في التّثاؤب لكنّها كبتتها؛ لأنّها في تلك اللّحظة كانت تسترجع صور اللّحظات الجميلة الّتي عاشتها؛ تلك الصّور الّتي لازالت عالقة في جدران ذاكرتها. والّتي تعيدها في كلّ ليلة تضع فيها رأسها على وسادتها؛ كفيلم مفضّل لديها؛ لا تملّ من إعادة مشاهدته. فهي بذلك تنسى وحدتها، فحبيبها أمير هو حبّها الأوّل وعشقها وكلّ حكايتها؛ الّتي قررت أن تكون روايتها. والّتي تحكي حزنها وفرحها. حاولت من خلالها أن تصف عمق إحساسها ومشاعرها. كثيرة هي الكلمات الّتي لم تقلها بعد لأمير لكنّها تبوح بها للورق فقط في كلّ مرّة ترفع فيها قلمها؛ تخفّف بذلك من تعبها؛ ومن ألم البعد عن حبيبها الّذي أفقرها إنّه البعد الّذي زادها شوقًا وحنينًا للقياه. حبيبها يسكن قلبها ويشغل تفكيرها؛ وموجود في كلّ تفاصيل حياتها. حتّى أنّه مذكور في كلّ سطر من سطور مذكّرتها.

تلملم على الورق أفكارها المشتّتة. وعلى الورق تنثر مشاعرها الدّفينة الّتي في صحراء قلبها دفنتها؛ ليس هذا هو الوقت المناسب لتقولها ولهذا خبّأتها.

أمير؛ الرّجل الّذي كان حلمها وأمنيتها.

الرّجل الّذي ظهر في حياتها دون ميعاد مسبق.

سرق عقلها وقلبها واستوطن كلّ ركن فيه؛ ليصبح واقعها وحقيقتها.

أمير؛ الرّجل الّذي لا يشبهه أيّ رجل. هو كلّ شيء في نظرها.

من كان يقول أنّ تلك الفتاة العنيدة ستنحني يومًا أمام الحبّ. من كان يقول أنّها ستلبّي نداءه يومًا؛ لكنّ هكذا شاء قدرها؛ جاء الأمير وغيّرها. هو الصدفة الّتي انتظرتها؛ والأمنية الّتي عاشتها؛ لن تقع في الحب إلاّ عن طريق الصّدفة؛ هكذا كانت رغبتها. لأنّها تعلم أنّ ذلك الحب هو الوحيد الّذي سيكسر جدار عنادها.

لم يعد أمير حبّها فقط؛ بل أصبح نقطة ضعفها أيضًا؛ ولم تعد هي الفتاة الّتي لا تنكسر لأنّها بكامل قوّتها.

« **إنّه الحب** ».

ذلك اللّص المخادع الّذي يتسلّل إلى قلوبنا خفية دون أن يستأذننا. يسعدنا ويفاجئنا ويفرحنا وسرعان ما يتمكّن من قلوبنا؛ يتخلّى عنّا فجأة. نشعر حينها بالألم؛ بالخداع؛

وبالظّلم؛ وبأحاسيس أخرى متضاربة. نعجز عن وصفها؛ تشبه الموت البطيء؛ تشعر وكأنّ روحك معلّقة بين السّماء والأرض. إنّه الحب نفسه الّذي أسعدك بالأمس؛ ها هو اليوم يسلّمك للسّهر والأحزان دون شفقة. لتصبح تلك السّعادة ألم؛ ويتحوّل الحب إلى معاناة. وكلّ تلك الابتسامات والضّحكات تصبح دموعًا وحسرات.

هذا هو الحب يا سادة. ساحر محترف؛ وشيطان يدّعي الإيمان. يجعلنا نحلم ...نتوهّم ... نتمنّى ...ونطير في علياء السّماء. يدخلك في غيبوبة الأحلام؛ تنام وأنت مستيقظ؛ وتستيقظ وأنت لاتزال نائمًا؛ ثمّ هووب؛ يعيدك من حيث أخذك ويرحل عنك دون وداع يختفي وكأنّه لم يدخل حياتك أصلاً. تاركًا في قلبك فجوة كبيرة تعجز عن سدّها مهما حاولت. تلك الفجوة هي جرحك الّذي سيحرق روحك وهي حيّة.

تتألّم في البداية كثيرًا؛ لكنّ في النّهاية سيُكتب لك الشّفاء؛ فقط أترك كلّ شيء للوقت. سيكلّفك ذلك أن تدفع راحة بالك عربونًا لضمانه؛ ربّما سيأخذ منك ذلك وقتًا طويلاً؛ لكنّ الجرح سيطيب حتمًا؛ أمّا أثره فسيذكّرك بانتصارك على الأيّام الصعبة الّتي مررت بها؛ والّتي ظننت فيها انّك ميّت لا محالة.

ستصبح أشدّ قوّة؛ وأكثر حكمة؛ هذا لأنّ عقلك سيجلس مكان قلبك؛ ليتولّى شؤون حياتك ويشرف على إدارتها بنفسه؛ فيصلح ما هدّمه طيش قلبك؛ ويعيد ترميم كلّ كسر فيك. لتعود في الأخير كلّ الأمور تحت السّيطرة.

لتكتب لك الانطلاقة من هنا؛ من المكان نفسه الّذي سقطت فيه بالأمس؛ فنهوضك منه هو ولادة جديدة لك؛ وفوز على كلّ من شمت بضعفك؛ وراهن على فشلك وعجزك بأنّك لن تستطيع الوقوف مجدّدًا. فشلك لا يكون بسقوطك؛ وإنّما في بقاءك هناك حيث وقعت. عندما تدرك هذه القاعدة جيّدًا؛ سيكون من الصّعب على الحياة أن تنجح في محاولة تحطيمها لك ثانية؛ لن تربكك هزّاتها المفاجئة؛ ولا تقلّباتها المخيفة. هنا تجد نفسك ممتنًّا لكلّ تلك الجروح والخيبات الّتي عشتها؛ لأنّها علّمتك كيف تكون القوّة؛ وجعلت منك شخصًا ناضجًا بإمكانه الانتصار على ألامه وإن عظمت؛ بالكثير من الصّبر؛ وبتوحيدك لقيم العقل مع مبادئ القلب فاتحادهما يعني ثباتك الدّائم. كلّ هذا لا تعلم عنه ألين شيئًا. لا تعرف عن الحبّ سوى أنّه رائع ويضيف إلى حياتها نكهة خاصّة. سيبكيها بقدر ما أضحكها؛ وسيوجعها بقدر ما أراحها. وإلى ذلك الحين هي

ستستمتع بكلّ لحظة فرح تعيشها. لطالما كلّ الأشياء جميلة وجذّابة في بداياتها. ويا جمال حسن الظنّ بالبدايات....

* * *

دفع أرون باب المكتب وهو يقول:

. ألين اتركي كلشي من إيدك؛ بدنا نروح عالبيت هلّأ.

ردّت وهي تضع يدها على قلبها:

. بسم الله الرّحمان الرّحيم.

رعّبتني لك خيّي؛ النّاس بدّق الباب بالأوّل.

وضع يده على جبينها قائلاً:

. ألين حبيبتي؛ ليش نايمي ع المكتب؛ إنتي مريضة شي.

وجّك أصفر.

. لا منّي مريضة. بس تعبت شوي.

خلّصت كلّ التّصاميم وحطّيت راسي ع المكتب تا إرتاح.

. بس هيك ...مأكّدي ما في شي تاني.

عانقته قائلة:

. مافي شي أرون اطمّن. يخليلي ياك يانور عيوني.

قبّلها على جبينها ثمّ أمسك بخدّيها وهو يقول:

. لك أنا ماعندي غير إخت وحدة... حبيبتي إنت.

. ما قلتلّي ليه بدنا نروح ع البيت؛ صاير شي؟

. ألين؛ كيف بتنسي يوم متل هيدا. معقول!

. طيّب؛ شوفي بها اليوم ؟ ... يا خيّي ذكّرني.

. عيد ميلاد إمنا؛ منّك بالعادة تنسي.

قالت وهي تضرب بيدها على جبينها:

صحيح يا الله كيف هيك...!

ما نسيت أرون بس انشغلت شوي لهيك...

قاطعها :

. يلا لكان؛ خلّينا نستعجل شوي؛ حكيت مع بيّي وهوّي خبّرني إنّن راح يطلعوا مشوار. وما بيرجعوا لاتّصل فيهن.

ردّت وهي تصفّق:

. معناتا راح نحضّر على مهلنا.

. ما تقلقي. الخالة سمر والصّبايا عم بيحضروا... نحنا بس راح نساعدهن. كنت عامل حساب إنّو راح نتأخّر بالشّغل مشان هيك طلبت منهن يحضروا لبين ما نحنا نوصل.

. ونزار وينو؟.

. راح يلحقنا بس يكفّي اجتماع.

. طيّب؛ إنت اسبقني وأنا راح روح شوفوا ومنلحقك؛ ما منطوّل.

قال وهو يمسك بيدها:

. قلتلّك راح يجي ...يلا ع السّيارة.

. سوق على مهلك؛ أوكي.

. حاضر بتأمري.

مخطئون جدًّا فيما قالوه عن الماضي؛ لقد تعلّمت كيف أدفنه إلاّ أنّه يجد دومًا طريقًا لعودته.

بعد أن حقّق أمير كلّ طلبات بيرم. كأخذه إلى مدينة الملاهي؛ واقتناء أجمل الألعاب والملابس الّتي في السّوق؛ وبعد أن تناولوا وجبة غداءهما؛ أخذه إلى حديقة الذّكريات. هكذا يسمّيها أمير. جلس على إحدى المقاعد الخشبيّة؛ وراح يراقب ابنه وهو يلعب ويمرح مع الأطفال. عادت به الذّاكرة إلى الوراء؛ عندما كان طفلاً صغيرًا. تذكّر عصفوره الّذي كان يخاف عليه من البرد؛ تذكّر أزهاره الّتي غرسها في حديقة منزلهم بيديه الصّغيرتين؛ وتذكّر والدته الّتي كانت تأتي به إلى الحديقة نفسها. كانت تجلس على نفس المقعد وتراقبه وهو يركض ويلعب؛ تذكّر ابتسامتها الّتي كانت ترسمها على شفتاها كلّما نظر إليها. لكنّ هذا المكان تغيّر كثيرًا؛ فالحديقة لم تعد كما كانت سابقًا. لم تعد المراجيح ملوّنة بالأزرق والأصفر... وشكل النّافورة الّتي تزّينها في المنتصف تغيّر من شكل سداسي إلى دائري؛ حتّى بائع الحلوى لم يبقى هو نفسه العم نصيب.

كبر أمير لكنّ الطّفل الّذي بداخله لم يكبر. ابتسم وهو يسترجع أوقات طفولته؛ ثمّ تنهّد ككلّ مرّة يتذكّر فيها والدته.

لم ينتبه لرسالة حبيبته إلاّ عندما أخرج هاتفه من جيبه ليلتقط صورًا لابنه. هذا لأنّه نسيه على وضع الصامت منذ البارحة. فتح الرّسالة بلهفة؛ وراح يقرأ بشغف كبير كلماتها الّتي تدغدغ مشاعره وتربك نبضات قلبه في كلّ مرّة يفتح فيها رسائلها. فهي بارعة جدًّا في انتقاء كلماتها؛ حتّى أنّه كان يتوقّف مبتسمًا في كلّ مرّة يقرأ فيها كلمة « احبّك».

أحبّك...

في كلّ مرّة تسابقت فيها نبضات قلبي...
لتخبرك قلبك يأنّي أحبّك
عند سماع صوتك؛ وكلّما أفكّر بك
أحبّك...

* * *

لأعترف لك بسرّ...
عند شرودي أحاول أن أحفظ تفاصيل وجهك
وفي صمتي أسبح في بحر عشقك
أحبّك...
كلّما رفعت قلمي لأكتب عنك
أجد نفسي عاجزة عن وصفك
لأنّي أعلم أنّني مهما كتبت ومها قلت...
لن أستطيع أن أوفيك حقّك
أحبّك...
في كلّ مرّة تلتقي فيها عيني بعينك
أغضّ بصري لأنّني أخجل من النّظر إليك

فنظراتك تلك يا سيّدي...
تبعثر كلماتي...تشتّت أفكاري
تحبس أنفاسي وتربك النّبض داخلي
فكيف لا أحبّك
وأنت الّذي سكنت قلبي دون إذن منّي
وأحببتني رغمًا عنّي...

* * *

أحببتك منذ أوّل مرّة صادفتك
نعم... وقعت في الحب مثلك
وأدمنت من بعدها التّفكير بك
وأحببتك أكثر... عندما نطقت شفتاك
أوّل مرّة كلمة أحبّك

* * *

أتدري يا سيّدي ...؟
لايزال عطرك عالقًا في ثيابي؛
لا يزال في أنفي ...

عندما عانقتك لأوّل مرّة
أتذكّر أنّني قلت لك « أحبّك »
لا بل أعشقك؛ ولن أتركك...
هكذا وعدتك

* * *

رغم المسافات الّتي بيني وبينك
ورغم خوفي من فقدانك يومًا
أحبّك...
نعم أخشى بعدك بقدر ما أحبّك
يوم بعد يوم؛ يكبر الشّوق للقياك
ويكبر معه حبّك

* * *

لن أطلب من القدر شيئًا... سوى أن يبقيني بقربك
كي أشاركك ضحكتك... وحزنك
ولأكون سعادتك ... وانسيك ألمك
أحبّك...
وأموت ألف مرّة في بعدك

* * *

لا أمنيات لي يا سيّدي... سوى أن نلتقي
نصافح معًا نور الشّمس عند كلّ صباح
ونسرق من الزّمن عناقًا طويلاً...
وقبلة نعلّقها على جبين الذّكريات
نشرب القهوة معًا... ونتقاسم حبّات السكّر بيننا
نراها تذوب شيئًا... فشيئًا
ونذوب نحن معها حبًّا
أحبّك...
والحبّ الّذي يملأ قلبي
أكبر من أن ينحصر بين ألف وكاف
ولو زادت عن أربع حروف
سيبقى حبّي يكبر في قلبي
إلى أن يطوى الكتاب.

* * *

لم يعد هناك من هو أسعد من أمير في تلك اللّحظة. كيف لا وحبيبته أشعلت نار الاشتياق في قلبه أكثر؛ وهو الّذي يحترق كلّ يوم لأنّه يفتقد وجودها بقربه.

هي ملاكه الّذي لا يشغل تفكيره شيء سواها.

حلمه الّذي انتظره طويلاً؛ والّذي لم يكن يظنّ يوما بأنّه سيتحقق .

أميرته الّتي تتقن لغة الحبّ جيّدًا.

أخرج من جيبه سنسالها الّذي بقي معه كذرى منها له؛ عندما كانا في باريس. أغمض عينيه للحظات وهو يشمّم رائحتها الّتي لا تزال عالقة به؛ ثمّ اتّصل بها. رنّ هاتفها طويلاً لكنّها لم تجب؛ قال في قرارة نفسه ربّما لم تسمعه؛ فعاود الاتّصال بها مرّة ثانية؛ وثالثة؛ ورابعة كان قلقه يزداد شيئًا فشيئًا. لم يكن ليكفّ عن محاولة الاتصال بها لولا نفاذ شحن بطّارية هاتفه.

قال بتذمّر:

. أووووف؛ مش وقتك.

ركب سيّارته وأغلق الباب بقوّة. وضع حزام الأمان لصغيره وانطلق؛ يداه تقودان وعقله مشغول بالتفكير في حبيبته الّتي لم ترد على اتصالاته. سيطر عليه قلق عظيم جعله ضحيّة لأفكار

مزعجة كانت تتضارب داخله.

.ربّما غضبت منّي لأنني تأخّرت بالردّ على رسالتها!

.ربّما انتظرت اتّصالي كثيرًا!

.أو ربّما حدث معها شيء لذلك لم تجب!

ليستسلم في النّهاية للشّكوك الّتي كانت تنهش عقله.

لا خيار أمامه الآن سوى أن يقود بمزيد من الحذر. فالطّرقات كانت مزدحمة على آخرها.

توقّف للحظات أمام إشارة المرور الحمراء. أشعل سيجارة الحيرة واستسلم شاردًا في أفكاره انطفئ الضّوء الأحمر واشتعل الأخضر؛ لكنّ أمير لم ينتبه لذلك؛ لولا سماعه لبوق السيّارات الّتي خلفه. والّذي أنقذه من غفلته؛ تقدّم مسرعًا وهو يلوّح بيده من النّافذة مرسلاً بذلك اعتذاره.

قال لابنه مبتسمًا:

. كي يكون ما عندي شي نجيك ونروحوا وين تحب يا بطل.

اتفقنا ؟.

لم ينتبه أمير أنّ بيرم نام منذ زمن؛ فطبع بقبلة خفيفة على يده.

لم يكفّ عن التّفكير بها طيلة الطّريق؛ حتّى أنّ سيجارته فشلت في تخليصه من القلق الّذي كان يلعب بأعصابه.

* * *

في تلك الأثناء كانت ألين تتجهّز لعيد ميلاد والدتها. ارتدت فستانًا أسودًا طويلا؛ مهدول الأكتاف؛ ومطرّزٌ باللّون الذّهبي عند حدود الصّدر. أمّا شعرها فتركته منسدلاً.

نزلت درجات السلّم كالأميرات وهي تنادي:

. أرون وَيْنَك لك خييّ ؟.

أجابها نزار قائلاً:

. أرون طلع لبرّا حبيبتي تعالي أنا هون بالمطبخ.

ردّت بتعجّب:

نزار أنت هون إيمتا رجعت ع البيت؟

. ماصرلي زمان واصل.

شفتي الصّالة كيف زيّنوها الصّبايا ؟.

. لا. فتت أخدت دوش؛ وجهّزت حالي وهلأ لنزلت.

. طيّب. تشربي قهوة؟

. ما بقول لا.

. صحيح طالعة كتير حلوة.

ألين وهي تقبّله:

. ميرسي كتير.

واصلت حديثها:

. خييّ راح روح شوف الصّالون وارجع.

. وقفي شوي هلّق منروح سوا؛ بس بدّياكي ما تفتحي عيونك لحتّى نوصّل. أوكي ؟ .

. نزار هيدا عيد ميلاد ماما مش أنا.

. وإذا مش عيد ميلادك. بدّي فاجئك لأنّ بعرفك أديه بتحبي المفاجئات.

يلا غمضي عيونك وحاجي تكتري حكي.

ردّت ضاحكة :

. حاضر؛ بس شوي شوي عليّ ما تترك ايدي.

بدأ نزار بالعدّ حتّى العشرة وهو يمشي معها خطوة بخطوة ممسكًا بيدها لأنّها مغمضة العينين. فعلى الرّغم من فخامة المنزل؛ إلاّ أنّ الصّالة بديكورها الفخم والأنيق كانت من أكثر الأماكن حفاوة.

قال نزار وهو يبعد يديه من على عينيها:

. هلأ فيكي تفتّحي عيونك.

لم تتردّد ألين في إعطاء رأيها وإبداء إعجابها. قالت بذهول:

. واااو؛ بتعئد. عن جد كتير كتير روعة؛ يعطيكن العافية.

ردّ نزار:

. ألين معها حق خالة سمر؛ ما منعرف كيف بدنا نتشكرك بس...

قاطعته الخادمة:

. هيدا واجبنا يا ولاد. وبعدين أنا ما عملت شي لحالي مايا و سارة هنّن يلي ساعدوني .

تدخّلت ألين :

. إذا هيك إنتو راح تحضروا معنا؛ ما بدّي اعتراض.

الخالة سمر:

. ما بدنا نعزّبكن؛ هوْدي مناسبة عائليّة شو دخلنا نحنا الخدم. أكيد راح تنحرجوا قدّام ضيوفكن.

قطبت الين حاجبيها قائلة:

. شو هيدا الحكي خالة. ما توقعت تحكي هيك؛ إنت منّا وفينا. من يوم ما إجينا على هيدي الدنيي وإنت معنا. إنت متل إمنا ولاّ شو نزار إحكيلك شي كلمة.

وضع نزار يده على كتف ألين وقال:

. أنا كتير زعلت من حكيك خالة سمر. عذاب شو وإحراج شو يلّي عم تحكي عنّو.

وبعدين نحنا منّا عازمين حدا. بدنا نكون لحالنا؛ وإنتو مانكن

غربا؛ شو قلتي؟.

قالت وهي تحضنهم:

ـالله يخليلي ياكن يارب. خلص راح نحضر المهم عندي تكونوا مبسوطين.

وما هي إلاّ لحظات حتّى دخل أرون وهو يصفّق بيديه قائلاً:

. إمّي وبيبيّ وصلوا؛ يلا تخبّوا بسرعة.

ردّت ألين:

. خود نفس ع الأقل.

تفاجأت السيّدة مليكة بهدوء المنزل عند دخولها. فسألت زوجها:

.وديع وينن لولاد معقول لهلأ مارجعوا من الشغل؟

بيكونوا فوق؛ ولا برّا بالجنينة.

ولأن ألين كانت متحمّسة جدّا؛ لم تشأ أن تترك والدتها تنتظر أكثر. فخرجت هي؛ وتبعها كلّ من نزار وأرون؛ والتفّوا حولها مردّدين:

Happy Birthday to you

سنة حلوة يا جميل؛ سنة حلوة يا ملاك؛ سنة حلوة... سنة حلوة يا أحلى إم بالدنيي كلاّ.

كانت مفاجئة رائعة بالنّسبة لها. حضنتهم جميعًا ثمّ قالت

والدّموع تملأ عينيها:

. يخليلي ياكن يا ولادي. عن جد فرحتوني كتير؛ بكفّي تكونوا حواليّي وبألف خير وما بدّي شي تاني.

ردّ أرون:

.لو شو ماعملنا. منظل بالأخير عاجزين عن رد جمايلك يا ست الكلِ.

ألتفتت إلى زوجها قائلة:

كنت بتعرف وعاملّي حالك منّك دريان بشيء.

أجابها ضاحكًا:

.شو لكان كنت متوقعة مني خبرك! لو قلنالك بطّلت اسما مفاجأة.

قالت ألين وهي تمسك بيد والدتها:

. يلا ماما طفّي الشّمع. بس تمنّي أمنية بالأوّل.

لقد كانوا عائلة رائعة ومثاليّة بأتمّ معنى الكلمة. عائلة متماسكة؛ مبنيّة على أساس متين الحب ثمّ الحب ثمّ الحب. وهل يوجد في الحياة ما هو أجمل من الأجواء العائليّة السّعيدة ؟. لمة الإخوة؛ الأوقات الّتي نتقاسم فيها الضحكات؛ كاجتماعنا حول مائدة الطّعام بالرّغم من كلّ شيء؛ أو مشاهدتنا سويًّا لإحدى أفلامنا المفضلّة. دون أن ننسى أجواء السّهرة...

فالعائلة هي أجمل شيء في الحياة؛ هي الملجأ؛ والأمان؛ والسّعادة. ننشئها بالحبّ والثّقة لا بالمال والأملاك؛ أو بعقد اتّفاقيّة زواج؛ لا شروط فيها ولا مقاييس لها. إذا هدمت هي يهدم كلّ شيء بنيناه معها. وسيكون حينها من الصّعب علينا إعادة بناءها مرّة أخرى...

كلّ هذا في كفّ. وتلك الابتسامة الّتي نراها على شفاه والدينا في كفّ آخر. ان ابتسموا ابتسمت لنا الحياة؛ وإن حزنوا ضاقت بنا الدّنيا. فمهما كنت تعاني ومهما كانت ظروفك يكفي وجود والديك حولك. يغمرونك بعطفهم؛ ويقفون معك في أصعب أوقاتك؛ يشاركونك دمعتك وفرحتك؛ ويغنونك بحبّهم عمّن سواهم.

هم فقط من يتقبّلونك بكلّ حالاتك.

هم فقط من يشعرون بك.

وهم فقط من سيتحمّلونك ويصبرون عليك مهما كانت ظروفك.

وحدهم والدينا من يفهموننا دون كلام؛ يكتفون بقراءة تفاصيل وجوهنا بنظرة واحدة ليعلموا ما إن كنّا سعداء أو تعساء أو نخفي عنهم شيئًا ما. ومهما حاولنا جاهدين كتم ما بداخلنا

إلاّ أنّهم ينجحون دائمًا في فكّ طلاسم صمتنا ومعرفة ما عجزنا عن كتمه .

عندما يكون والديك بجانبك. تأكّد بأنّك أغنى النّاس على وجه الأرض وإن كنت أفقرهم . فالغنى لا يقتصر على المال فقط. أن تكون غنيًّا ليس شرطًا أن تملك سيّارة آخر موديل؛ أو منزلاً فخمًا؛ أو رصيدًا في البنك لتكون سعيدًا. فالسّعادة لا تشترى بالمال؛ وفقرك لن يمنعك من أن تكون سعيدًا. تأكّد بأنّ الأموال وإن كثرت سيأتي اليوم الّذي تدرك فيه أنّ وجودها وعدمه واحد. عند زوال صحّتك؛ أو فقدك لأعزّ أحبابك .... أنت لن تدرك قيمة الأشياء الثّمينة الّتي تمتلكها؛ ونعم الله الّتي أنت غارق فيها؛ لن تدركها إلاّ عند خسارتك لها . والوالدين هم من أعظم النّعم الّتي يجب أن نحمد الله عليها ونصلّي لأجلها. ما دمت ترى ابتسامة والديك كلّ يوم؛ فكلّ أحزانك تافهة وإن عظمت.

* * *

ركن أمير سيّارته أمام المنزل ثمّ نزل وحمل ابنه بيرم؛ وما كادت يده تلامس الجرس حتّى فتحت لهما رانيا الباب .

تفاجئ من تصرّفها؛ قال بتعجّب :

. كيفاه عرفتي إنو نحنا رجعنا؛ مش من عوايدك تستقبليني .!.
خير ان شاء الله
ردّت وهي تشير بيدها إلى الدّاخل :
. تفضّل .
صعد أمير درجات السلّم محاذر أن لا يوقظ ابنه. وضعه على سريره وغطّاه؛ ثمّ طبع بقبلة عميقة على جبينه. وبينما هو يهمّ بالانصراف؛ لحقت به رانيا وأمسكت بيده؛ قالت والدّموع تملأ عينيها:
. أمير سامحني.
لم يفهم أمير من كلامها شيئًا؛ تجمّد في مكانه. كلمة فقط شلّت خطواته وعقدت لسانه.
للمرّة الثانية قالت:
. أمير نترجّاك تسامحني.
لقد كانت هذه هي المرّة الأولى الّتي يرى فيها أمير رانيا بكامل هزيمتها وضعفها. هذه المرّة الأولى الّتي بدت له فيها على حقيقتها؛ بعيدة كلّ البعد عن التصنّع. والآن أصبح متأكّدًا أنّ هناك شيئًا ما قد حدث. ولا تستطيع البوح به؛ فاكتفت بطلب السّماح منه.
كانت وهي تطلب ذلك كالّذي ارتكب جريمة وينتظر العفو

عنه؛ أو كالّذي ارتكب معصيّة ويرتجي الغفران. شيء كبير جدًّا كانت تخفيه عن أمير. ونظراتها أخبرته بكلّ شيء. سحب يده بهدوء وتظاهر بأنّه غير مهتمّ بكلامها؛ يكفيه أنّ ظنونه قد صدقت. لكنّ ذلك لم يمنعه من سؤالها:

. رانيا غير الخير. يلي يشوفك يقول هذي أوّل مرّة نشوف فيها بيرم.

ردّت وهي تمسح دموعها:

. لا مش قصدي بيرم. أنا قصدتك إنت بكلامي.

أمير قول إنّك مسامحني وريّحني.

أمير مستغربًا:

واش صرى حتى تبدلتي فجأة؟ يعني ...!

قاطعته:

. أقعد وأنا راح نحكيلك كلشي؛ اسمع من غير ما تقاطعني. أكيد يلي راح تسمعوا مش راح يغيّر شي أمّا ع الأقل يذوّب الجليد يلي بيناتنا.

جلس أمير وعلامات القلق بادية على وجهه.

. تفضّلي؛ سامعك.

. أنا كنت نحب واحد إسمو سامي؛ يخدم معلّم. كان يحبني حب جنون؛ وباليوم يلي حكى فيه مع بابا وقالوا إنّو حابب

يتقدملي؛ بابا رفض وقالوا إنّو أنا راح نتزوّجك إنت. سامي بوقتها تصدم. عيطلي وطلب منّي نشوفوا وحكالي كلّشي. كان حاطط في بالوا إنّي كنت نكذب عليه ونتلاعب بيه؛ صدمتي كانت أكثر من صدمتوا.

رجعت لدّار وحكيت مع بابا وهو أثبتلي بلّي كلام سامي صحيح. وإنّو قرارو نهائي؛ وإنت تعرف بابا إذا قال شي لازم يتنفّذ؛ حاولت نشرح لعمّي الموضوع قلت إذا حكيت معاه راح يتفهّم وضعنا؛ وراح يقدر يقنع خوه؛ بالأخير إنت ولدوا وأنا بنت خوه؛ أكيد مش راح يقبل يزوّج ولدوا من وحده تحب غيروا. أمّا الحقيقة طلع باباك هو يلّي مخطط لهاد المسرحيّة كلّها. ولّت صدمتي صدمتين؛ رغم هذا قلت إلاّ ما يكون فيها حل لكن مع الأسف . هدّدتهم بالانتحار بكلشي أمّا بدون فائدة وكي يئست عيطت لسامي وقرّرت نهرب أنا ويّاه؛ كنّا راح نسافروا لأمريكا؛ رتّبت أموري وأوراقي وكلشي؛ فاتوا أسبوعين كنت فيهم على أعصابي؛ حتّى جا اليوم يلي راح نخلص فيه أخيرًا.

حاول أمير التكلّم لكنّ رانيا قاطعته قائلة:

. خلّيني نكمل للأخير نترجاك.

. أوكي.

. ودّعت ماما وعطيتها ورقة قتلها وصليها لبابا؛ كانت ماما هادئة؛ مرتاحة على غير عادتها من يوم ما قتلها إنّي راح نروح مع سامي وهي قالقة. أمّا فاليوم هداك بذّات كانت غير؛ خرجت وفي قلبي غصّة كبيرة وإحساس ما كنتش فاهماتوا. الإحساس هداك فهمتوا غير لما وقف بابا ورجالوا قدّامي؛ وأنا قدّام باب المطار؛ خلّيت كلشي وهربت. كنت نجري كي المجنون ما نعرف وين نروح؛ ما كنتش نفكّر في شي غير إنّي نهرب.

من كتر الجري والخوف إنّي ما نشوفش سامي ماعادش نقدر نتنفّس. وقفت في بلاصة خالية ما فيها لا بشر ولا شجر؛ غير البحر قدّامي... شوي شوي رجعت نتنفّس. كانوا يدّيا يرجفوا وأنا هازّا التليفون؛ عيطت لسامي؛ أمّا هو ما ردّش عليّا؛ وقتها زاد خوفي أكثر ولّيت ندعي ربي ما يكونش بابا عملوا شي. رجعت عيطلتوا مرّة أخرى؛ الكلمة الوحيدة يلّي سمعتها حبيبتي وينك. كانت الدّموع تنزل ورجليّا ما عادش نقدر نحرّكهم. فشلت كي سمعت صوتوا؛ نسيت الخوف ونسيت كلشي. وفي اللّحظة يلي حاولت نتكلّم فيها باش نحكيلوا يلي صار معايا؛

حسّيت بشي تحط على فمّي؛ شي كتم نفسي. كنت نتخنق وبعدها ظلامت الدنيا في عينيا وماعاد شفت شي. واحد من رجال بابا خدّرني؛ ما فهمتش كيفاه لحقني؛ وين كان متخبّي؛ كيفاه ماحسّيتش عليه. رجعوني منين جيت؛ فقت لقيت روحي في دارنا وماما بجنبي؛ حاولت نتحرّك ما قدرتش كانت عظامي توجعني. عاونتني ماما نقعد. كانت تبكي قالتلي: سامحيني يا بنتي؛ باباك هدّدني إنّو يقتل سامي؛ خفت عليك لا يصرالك شي.

كلمتها ضربتني على راسي كأنها حجرة؛ خلّتني نتفكّر كلشي . بعدتها وأنا نعيط ونبكي؛ علاه يا ماما درتوا فيّا هك؛ أنا بنتكم زي ما أميمة وكرم ولادكم. حاولت تهدّيني أمّا أنا ما عطيتها فرصة. تفكرت سامي؛ سامي يكون في المطار؛ شفت للسّاعة كانت العشرة ونص؛ عشر دقائق وطير الطيّارة يلّي راح تحطنا بعيد على كلّش وعلى كلّ النّاس. كنّا راح نروحوا لبلاصة ما نعرفوا فيها حتّى واحد غير أنا وهو. كنّا راح نعيشوا أجمل أيّام حياتنا؛ رجعت لماما وترجيتها تخلّيني نروح؛ أمّا العكس. قاتلي إنّو بابا راح يرجّع حياتنا جحيم { تضحك }... على أساس نحنا ما كنّا عايشينو من قبل. نحنا

عايشين كيما هو حابب أميمة تزوجت وكرم سافر. على الأقل تهنّوا وتحرّروا من أوامروا؛ والوحيدة يلّي خلّصت الفاتورة هي أنا... كانت دموعها تنزل مثنى وثلاث ورباع؛ وكأنّها تسترجع كلّ الّذي عايشته. وهي تحكي ذلك لأمير ؛ أخذت نفسًا عميقًا تمّ واصلت: . ما قدرتش نقنعها إنّها تخلّيني نروح؛ أمّا ع الأقل قنعتها تخلّيني نحكي معاه؛ فتحت التليفون لقيت عشرين مكالمة وعشر رسائل كلهم من سامي. كان خايف عليّا برّاف؛ عاودت عيطتلوا لقيت تليفونوا مقفول. فاتت العشر دقائق وطارت معها طيّارة آمالي وأخذت معاها كل احلامي. ما قدرتش نتحمّل فكرة إنّي نبعد عليه ونخلّيه؛ يلّي بينو وبيني شي أكبر من الحب. طحت ع الأرض وبابا بإيديه داني للمستشفى؛ قالهم الدكتور انهيار **عصبي؛ طلب منهم الرّاحة ثمّ الرّاحة ولازم نبعد على أي شي يقلقني**. أكيد ما كانتش عندو عين يقابلني ولا يوقف قدّامي؛ كنت جسد بلا روح؛ حتّى الدموع نشفوا.

ما خلّيتهمش يبقوا معايا؛ كرهتهم وكرهت الدنيا وكل شي. دق الباب السّاعة تسعة ونص باللّيل؛ ظنّيتوا بابا؛ قلت من غير ما نشوف؛ عمري ما راح نسامحك أخرج وما تزيدش تورّيني وجهك. فجأة حسّيت بيد حنينة تحطّت على إيدي؛ كان

سامي؛ ما صدّقتش كي شفتو ضمنّي وقال هذا أنا سامي. حضنتو بقوّة؛ كانت دموعنا وحدة والوجع واحد؛ كنت راح نحكيلوا كل شي؛ أمّا هو سبقني وحط إيدوا على فمّي وقالّي نعرف كلّش يا عمري؛ عرفت بلّي ماما هي يلّي حكتلوا؛ أمّا هذا ما منعنيش من إنّي نبرّد قلبي؛ قتلوا سامحني وفهّمتوا قدّاش نحبوا وإنّي مستحيل نخونوا. طلبت منّو يبقى معايا وما يخلّينيش مهما كانت الظّروف رجع ضمني ووعدني يبقى جنبي.

فاتوا ثلاث أيّام ما خلاّني دقيقة ّ من غير ما يطّمن عليّا؛ يجيني كل يوم. في هديك الأيّام نسّاني كلشي عانيتوا... بعدها رجعت لدّار. كنت نستنّى اليوم يلي نرجع فيه للجامعة بفارغ الصّبر؛ باش نشوفوا؛ كان باقيلي ستة شهور ونتخرّج.

يوم وراء يوم كنت نتحسّن؛ أمّا بابا كان حاب غير هك. وقف قدّامي وكأنّوا ما صار شي قالي وجدّي روحك بعد عشرة أيّام العرس؛ راكي بخير وصحّتك تحسّنت الحمد لله. من غير ما يسألني كان مقرّر ومخطط لكلشي؛ أصلاً رأيي مش مهم عندو؛ سواءً رفضت أو وافقت مش راح يتبدّل شي؛ رغم هذا ما حبيتش نبيّن ضعفي قدّاموا؛ قتلوا مستحيل نتزوّج أمير ويلّي حابب تعملوا لا تقصّر. حط يدّو بجيبو وقالي بكلّ برود إمّا

تنفذي واش قتلك وإلاّ نقتل سامي ونريّحك منّو؛ خاطر هو لي واقف في طريقك. ماكانش عندي شك إنّو يعملها؛ إذا أنا بنتو من لحموا ودمّوا ما رحمنيش أكيد مش راح يشفق على واحد غريب؛ خفت بزّاف؛ خيّرني بين الزواج منّك ولا موت سامي؛ ما كانش عندي خيار وسط. مش هذا برك؛ هددني إذا حكيت لأي مخلوق راح ينفّذ يلّي مخططلوا؛ عرف يحكمني من الإيد يلي توجعني.

تعرف أمير زواجنا كان مكسب بالنّسبة ليهم. بابا كان خايف يخسر أملاكوا وثروتوا؛ بابا وعمّي كانوا متفاهمين ومقررين بدالنا. اسم العيلة والأملاك أهم عندهم من سعادة ولادهم؛ وهذا السبب يلّي خلاّه يرفض سامي؛ وحاول يقنعني إنّو ما يحبنيش هو طامع في أملاكي زي حكاية البنت الغنيّة والشّاب الفقير. عيطت لسامي واتفقنا نتلاقوا؛ ما كانش خايف على روحوا قد ما كان خايف عليّا؛ ضمّيتوا بقوّة وحاولت نكون أقوى قدّاموا؛ أمّا كي شفت دموعوا حسّيت بروحي تتعذّب؛ كلّ دمعة نزلت من عينيه كانت نار تحرقني؛ الحب يلّي في قلبوا ليّا أكبر من كل شي. وقتها عرفت إنّي لازم ننسحب من حياتوا؛ ماكانش لازم نكون أنانيّة معاه بدل ما نخلّيه يتعلّق بيّا

أكثر وأكثر ونعطيه أمل كاذب؛ كنت مجبورة نبعد عليه حتّى يشوف حياتوا؛ يستاهل إنّو يبدى من جديد؛ ماكانش قدّامي طريقة ثانية نخلّيه يكرهني. وكانت هذيك آخر مرّة عانقني فيها؛ وآخر مرّة شمّيت فيها ريحتوا. مسحت دموعي ودموعوا وضحكنا على حظنا. وبيوم العرس شفتوا كان واقف بعيد؛ عمري مراح ننسى حالتوا كيفاه كان؛ رغم كلشي عملتوا حتّى يكرهني كان يحبني كل يوم أكثر من يلي قبلوا. حتّى وأنا بعيدة عليه. ومن غير ما يشوفني ولا نشوفوا عمروا ماراح ينساني.

* * *

بعد أن انتهوا من تناول الكعك وبعض الوجبات الّتي حضرتها الخالة سمر من أجل هاته المناسبة؛ فتحوا الهدايا الّتي أحضروها؛ والتقطوا صورًا عائليّة للذكرى. انتهى كلّ شيء هكذا ظنّ الجميع؛ باستثناء ألين الّتي كان لديها الكثير من المشاعر المخبئة بداخلها و آن الأوان للبوح بها.

اعتلت إحدى كراسي الطاولة بعد أن طلبت من أخيها أرون أن يشاركها في ما توّد فعله؛ ثمّ قرّبت يدها اليمنى إلى فمها كأنّها تحمل مايكرفون. وقالت:

. أعزّاءي الحاضرين معنا؛ قبل كلشي بحب اتشكركن من كل قلبي ع اليوم الحلو يلّي قضيناه مع بعض. بدّي قول لبيّ أنا بحبك كتير كتير؛ ولأخواتي إنتو أجمل شي بحياتي من دون ما انسى الخالة سمر يلّي دايمًا واقفي معنا وإلها فضل كبير علينا؛ وبتشكّر كمان مايا وسارة ع كلشي عملوه.

أمّا إنت يا إمّي فبدّي خبرك إنّك نور عيوني وعمري وحياتي كلّا؛ بلاكي حياتي ما إلها معنى. تأكدي إنّو لو شو ما قلت؛ وشو ما عملت ماراح اقدر رجعلك ضفر من تعبك؛ وما بقدر أوفيكي حقّك.

غمزت إلى أرون كإشارة منها له ليبدأ في العزف على البيانو؛ ثمّ قالت بحيويّة:

. ما بدّي طوّل عليكن:

«إليكِ يا أمّي»

رائحتكِ أطيب من المسك والعنبر
وصوتك؛ أحنّ من النّغم وأحلى من السكّر
أحبّك... أحبّك كلّ يوم أكثر وأكثر
عند حزني أنت الفرح
وعند جرحي تكونين كقوس قزح
كم أنا محظوظ لأنّي بين يديكِ
كم أنا مرتاح لأنّي تحت عينيكِ
يكون الموت موتان....
موت عندما ينطلق الآه من أحشائكِ
وأموت عندما أرى دموعًا على خدّيكِ
فلبّيك يا أمّي لبّيكِ

* * *

لن أنصفك بهذه العبارات مهما كان سحرها
حتّى لو كانت عميقة... عميقة... عميقة
وأطول من بحرها
فأنت النّور والأمان
ومنبع الدفأ والحنان

أطلبي ما شئتِ يا أمّي
حتّى لو كان الثّمن عمري
* * *

لا أستطيح تخيّل يومٍ؛ تكونين فيه بعيدة
كلّ البعد عنّي...
فأنت قريبة دومًا... قريبة كلّ القرب منّي
لو سمعتم صرخة ميلادي
* * *

توقّفت ألين للحظات بعد أن غلبتها الدّموع... مرّة أخرى فتحة فمها لتكمل لكنّها لم تستطع فأخذت نفسًا عميقًا ثمّ واصلت:

لو سمعتم صرخة ميلادي
كنت أقول؛ لا تقطعوا الحبل السرّي
لا تقطعوه.....
كيف ترحلين عنّي؟
حتّى لوكان الرّحيل بقضاء وقدر
كيف أكون عبدًا للمطر؟
فأنا أعلم أنّ حياتي بعدك ستكون
منعدمة أو في خطر.....

لأنّي أعلم أنّي بعدك سأكون
اسمًا بلا لقب.....
فرحيلك سيحرقني كما تحرق النّار الحطب
فمن سيطفئ ناري يا أمّي؟
إذا كانت النّار أوّلها غضب!
ليت يومي قبل يومكِ يا أمّي
ليت يومي قبل يومكِ يا أمّي
* * *

هاته هي القصيدة نفسها الّتي شاركت بها ألين في إحدى الأمسيّات الشعريّة. حيث نجحت في ايصال إحساسها؛ عندما بكت وأبكت معها جميع الحضور.

رغم أنّها كتبتها بمناسبة عيد الأم؛ إلاّ أنّها لم تهديها لوالدتها في ذلك الوقت؛ وفضّلت أن تكون هذه هديّتها المعنويّة لها في عيد ميلادها الّذي رغبت في أن يكون مميّزًا هذا العام. فباحت بمشاعرها الدّفينة؛ وحبّها الّذي لا تعرف كيف تعبّر عنه؛ وكمحاولة منها لشكر المرأة الّتي حملتها في بطنها تسعة أشهر وهنًا على وهن؛ وتألمت ألمِا عظيمًا لتهبها الحياة تعبت لترتاح هي؛ وسهرت لتنام هي، ونذرت شبابها لأجل ابتسامة عينيها.

أحبَّ أباكَ إذا كان منصفًا؛ وإذا لم يكن كذلك فتحمله .

- بوبيلوس سيروس -

يبقي أمير مذهولاً من كلامها؛ مصدومًا بالحقيقة الّتي تسمعها أذناه لأوّل مرّة. لكنّ فضوله لم يمنعه من سؤالها:

. فهميني؛ هو تزوّج ولالا ؟ .

. لا؛ ومستحيل يعملها.

. واش راح يمنعوا مثلا؟ .

. قتلك الشّي يلي بيناتنا أكبر من الحب ذاتو. يلي يربطنا ببعضنا مستحيل يفرقنا ومتأكدة أنّو راح يجي يوم ويجمعنا. تنهّدت بعمق وهي تمسح دموعها. اقترب منها أمير وجلس أمامها قائلا:

. علاه ما حكيتيش وقتها؟ كنّا راح نلقوا حل ونخرجوا من هاد الحرب بأقل الخسائر؛ ع الأقل ما كنّاش وصلنا لشّي يلّي وصلنالو. شوفي حالتنا؛ لا إنتِ مرتاحة ولا أنا.

قال وهي تضع يدها على يده:

. أمير أنا كنت ظالمتك؛ كان في بالي إنّك تعرف كل شي وساكت كيفي؛ ما قدرتش نواجهك كان في بالي إنّك زيهم

تفكّر غير في روحك. بابا وعمّي هوما يلّي خلوّني نكرهك؛ وكلام بابا ما راحش من بالي دقيقة؛ خوفي كان مانعني؛ وتأخرت باش عرفت إنّك ضحيّة كيفي أنا على هك طلبت منّك السّماح من بزّاف أمور.

سامحني أمير؛ علبالي راح تستغرب من كلامي؛ أمّا صدقني أنا تعبت وحابّة نريّح ضميري.

. بعد الشّي لي سمعتو أنا ما كنتش نعرف إنّك تحملتي كل هذا. كيما عمّي ظلمك بابا تاني ماكانش مقصّر معايا؛ تحمّلت كلشي على خاطر ماما وصّتني نعيش حياتي ونفرحها ونصبر على تصرّفاتوا وظلموا ليا؛ مع إنّي ما نحس بشي اتجاهوا؛ هو قتل كلشي مليح فيّا ومشروع الزّواج ماكانش يعنيلي شي؛ كيفك كنت مجبور نوافق وإلاّ كنّا راح نشوفوا شي أكتر من يلي شفناه. أمّا الحمد لله ربّي ديما يعوضنا بالّشي يلي عمرنا ما توقعناه؛ أنا فتحت صفحة جديدة في حياتي. جراحنا تعلّمنا نكونوا أقوى وساعات هي بذاتها توصّلنا لباب سعادتنا يلي كنّا فاقدينها. الحمد لله.

أمّا بعد الشّي لي حكيتيه مزال عندي سؤال محيّرني.

. قول أمير.

. فاليوم يلّي قررت فيه نطلقك علاه رفضتي؛ كان المفروض تكوني أسعد إنسانة؛ لي تمنيتيه كان راح يتحقق؛ كنت راح ترجعي لسامي ويمكن كنتوا راح تعيشو الحياة لي حبيتوها. أمّا إنت عملتي العكس. حتّى إنّك وقتها وقفتي مع بابا؛ كون ما أنت دخّلتيه فالنّص رانا درك مرتاحين. حاب نصدقك لكن الشّي هذا يلي ما فهمتوش يعني ....

قاطعته رانيا :

. قبل ما نجاوبك إنت جاوبني؛ إنت تحب وحده صح ؟ .

ردّ أمير باسمًا :

. إيي نعم.

. نقدر نعرف اسمها ؟.

. ألين .

. شفت أمير. وقت تحب ما تقدرش تفرّق بين الشّي الصّح والغالط؛ همّك الوحيد إنّك تكون مع الإنسان لي خيروا قلبك؛ تقضي يوم كامل وإنت تفكّر فيه من غير ما تمل؛ وتستنّى اللّيل وقتاه يخلص باش يجي النّهار وتشوفوا؛ ما تقدرش تعيش يوم واحد بلا ما تسمع صوتوا وتطمّن عليه؛ راح تكون مستعد إنّك تعطيه روحك؛ ويكون طلبك الوحيد من الدّنيا إنها تجمعك به

وما تفرّقش بينكم.

أمير نحنا ما قدرناش نكونوا قراب من بعضنا من قبل؛ أمّا ع الأقل ولّيت تفهمني؛ نحنا مرّت بنا نفس الظّروف. تأكّد إنّي راح نوقف معاك ونساعدك حتّى تكون معاها مهما صار . حاجة مليحة نسمع هذا الشّي منّك. الحقيقة كنت ناوي نفتح الموضوع مع بابا خاطر رأيك إنت كنت نعرفوا من قبل ما ظنيتش إنّك تتبدلي وتوافقي. هاد المرّة مستحيل نتراجع يا إمّا نكون مع الإنسانة يلّي نحبها؛ يا إمّا راح نعمل شي عمروا ماكان متوقعوا لا هو ولا غيروا.

تنهّدت رانيا قائلة:

. أنا يوم وقفت بوجهك تأكّد إنّو ماكانتش عندي نيّة نضرّك. أصلاً فكرة انفصالنا كانت مستحيلة.

قطب أمير حاجبيه وهو يقول:

. ما فهمتش وضّحي أكثر.

. بعد وفاة بابا؛ عملت توكيل لعمّي وتنازلت على كلّ الحصص والأملاك يلّي كان بابا كاتبهم باسمي؛ مقابل إنّو ما يضرني لا أنا ولا سامي. هو نقطة ضعفي يلّي استغلها عمّي لصالحوا. مش هكا برك؛ وقّعت على أوراق أخرى تخص زواجنا.

. يعني ...؟

. يعني يا أمير أنا وإنت مستحيل ننفصلوا إلاّ بعد ستّ سنين؛ بعد ما تكمل هاد المدّة أنا نقدر نكون حرّة ونعيش حياتي كيما نحب ومع من نحب.

صعق أمير ممّا سمعه؛ ردّ بغضب:

. وان شاء الله في بالك راح نستنّى حتّى تخلص الست سنين تاعكم باش نشوف حياتي. فكرتي في روحك والله برافوا رانيا؛ برافوا. تفاهمتوا على كلّشي وقررّتوا وأنا آخر من يعلم قالت وهي تحاول تهدئته:

. أمير أنا ما دخلنيش؛ أنا وقعت عليهم تحت التّهديد. من المفروض أنا ما نحكيلكش؛ إنت كون جيت في بلاصتي كنت عملت نفس الشّي. مزال عامين وكلّ واحد فينا راح يعيش حياتوا مع من يحب؛ مجبورين نصبروا ما عندنا حل تاني.

في تلك اللّحظة جنّ جنونه؛ فصاح بها قائلاً :

. ما أسهلوا الكلام.

ضرب بيده بقوّة على الحائط ثمّ اقترب منها حتّى كاد وجهه يلامس وجهها وهو يقول:

. ان شاء الله متوقعة منّي نزيد نصبر عامين. من غدوا نروحلوا

ونتفاهم معاه وخلّي يلّي راح يصرى يصرى.

أحسّت رانيا بخوف كبير ولم تستطع النطق ولو بكلمة واحدة؛ فلم يسبق لها وأن رأته على هذا الحال. وهذا ما استفزّ أمير كثيرًا فصرخ قائلاً:

. تكلّمي؛ بلعتي لسانك.

تراجعت للوراء قليلاً وحاولت أن تستجمع قواها؛ ردّت بصوت متقطّع:

. أمير ...هذا سر؛ وإذا عرف باباك إنّي قتلك تأكّد إنّو مش غير حياتي راح تكون في خطر حياتك إنت تاني. فكّر في ألين يا أمير؛ إذا تحبها مجبور إنّك تصبر على جالها.

ألقى نظرة على ساعته كانت تشير إلى: الثّالثة مساءًا.

حرّي به أن لا يتأخّر أكثر عن عمله؛ قال وهو يمسح عينيه:

. لازم نروح. أمّا ديري في بالك الحكاية ما خلاصتش هنا.

طبعًا لن تنهي الحكاية هنا. فعلى الرّغم من كلّ الحقائق الّتي كشفتها له رانيا؛ إلاّ أنّها لا تزال تخفي عنه سرًّا خطيرًا بإمكانه أن يدمّر حياته.

* * *

إنّ جراحتنا هي التشقّقات الّتي يدخل منها النّور لذى أنا ممتنّ لكلّ جراحاتي.

- جلال الدّين الرّومي -

مضت ساعة كاملة على دخول أمير إلى غرفة العمليّات. ساعة كاملة قضاها الطّبيب تحت تأثير القلق والخوف؛ فمن جهة الحقيقة الصّادمة الّتي سمعها مؤخّرًا والّتي أفقدته صوابه ومن جهة أخرى خوفه من فقدان المريض الّذي يخضع حاليًّا لعمليّة قلب مفتوح.

غمز بعينيه مرّتين محاولاً بذلك طرد الأفكار المزعجة الّتي تشوّش تفكيره. لاحظت الممرّضة أنّ أمير ليس على ما يرام؛ فحاولت أن تخفّف من توتّره؛ طلبت منه وهي تمسح العرق من على جبينه أن يأخذ نفسًا عميقًا؛ وقبل أن تناوله المقصّ أخبرته بأنّه سينجح في إنقاذه؛ تمامًا كما فعل في جميع الحالات الّتي مرّت عليه.

إضافة لكونه طبيب ناجح؛ هو شخص محبوب من طرف الجميع؛ لما رأوه فيه من كريم الخصال. والّتي إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على أنّه شاب راجح العقل؛ طيّب القلب؛ لا ينطق لسانه إلاّ كلامًا موزونًا.

كانت يداه ترتجفان؛ ووجهه يتصبّب عرقًا. بدأ نبض المريض ينخفض. في تلك اللّحظة صرخت الممرّضة المساعدة قائلة:

. أرجوك افعل شيئًا يا دكتور؛ وإلاّ سنخسر المريض حتمًا.

وهذا ما كان يدركه أمير حقّا؛ لقد وقع فريسة لتلك الحقائق المشؤومة؛ والّتي زعزت تركيزه أغمض عينيه للحظات وأخذ نفسًا عميقًا وهو يحرّك أصابع يديه؛ وفي تلك اللّحظة تذكّر كلام والدته: « إذا أردت أن تتغلّب على خوفك؛ أغمض عينيك وتذكّر أنّي بجانبك ودعواتي ستنصرك. فقط كن واثقًا بنفسك؛ حتمًا ستتغلّب على جميع العوائق وستنجح».

كانت الدّقائق تمرّ طويلة جدًّا على الدّكتور أمير. وفي الوقت الّذي ظنّ فيه الفريق الطبّي بأنّهم سيخسرون المريض لا محالة. أثبت لهم أمير عكس ذلك؛ استعاد تركيزه وأصبح الوضع تحت السّيطرة.

قام الدكتور أمير أولاً بتخدير المريض تخديرًا كليًّا؛ ثمّ قام بوضع أنبوب تنفّس في الرئتين من خلال الحلق؛ وأوصل الأنبوب بجهاز تنفّس اصطناعي. بعد ذلك قام بشقّ عظام القصّ وفتح القفص الصّدري إلى نصفين بحجم ثماني إنشات ليتمكّن من الوصول إلى القلب. وثبّت مكان الجرح بملاقط طبيّة لتسهّل عليه إجراء العمليّة. ثمّ أوصل جهاز القلب على الفور بجهاز

قلب رئة؛ والّذي يقوم بوظيفة قلب في ضخ الدّم إلى جميع أجزاء الجسم بعيدًا عن القلب. لتجرا العمليّة المطلوبة... أخيرًا ربط كل شريان سليم بآخر مسدود.

أربع ساعات مرّت لحدّ الآن. أعاد تدفّق الدّم عبر القلب؛ ليعود القلب للعمل بشكل تلقائي ثمّ أغلق عظام القصّ باستخدام أسلاك خاصّة ودائمة. أمّا جلد الصّدر فأغلقه بالغرز، بعد ذلك قام بإزالة أنبوب التنفّس.

بهذا أنهى الدكتور أمير عمله؛ لينتهي بذلك التوتّر الّذي كان مسيطرًا عليه طيلة السّاعات الّذي قضاها داخل غرفة العمليّات.

تنفّس بعمق وهو يحمد الله على إعانته له وتوفيقه. لقد كانت عمليّة صعبة ومعقّدة جدًّا؛ فإنقاض مريض يعني حياة.

* * *

رغم انتهاء فترة خدمته منذ زمن إلاّ أنّه لم يغادر المشفى بعد؛ تفقّد المريض الّذي أجرى له العمليّة صباحاً؛ وقبل أن يعود إلى مكتبه ألقى نظرة على قاعة الانتظار بمصلحة الطّوارئ ولحسن الحظ لم تكن غاصّة.

علّق مئزره على المشجب وعدّل من ربطة عنقه؛ وقبل أن يغادر تأكّد من بعض المعلومات المتعلّقة بإحدى المرضى؛ بنقرة أخيرة على لوحة مفاتيح حاسوبه؛ فاجأه اتّصال من احدى أصدقائه القدامى يدعى رائد. بعد السّؤال عن حاله وأحواله سأله عن سبب انقطاعه عنهم؛ بل ولامه كثيرًا على ذلك.

قال أمير وهو يفرك لحيته:

. سامحني يا صديقي نعرف كنت مقصّر معاك؛ أمّا إنت تعرف ضغط الشغل وظروف الحياة.

ردّ رائد ضاحكًا:

. أكيد نعرف يا أمير؛ كنت نتمسخر معاك.

المهم عندي تكون بخير.

شكره أمير على اتّصاله ووعده بأن يزوره في أقرب وقت؛ طبعًا إن سنحت له الفرصة بذلك.

دقّت ساعة الصّفر معلنة نهاية اليوم الطّويل والصّعب الّذي عاشه أمير. يعالج النّاس وهو أكثرهم حاجة للعلاج.

يسهر على راحة مرضاه في الوقت الّذي يفتقد فيه هو هذا الشّعور. ينقذ حياتهم؛ وحياته بأمسّ الحاجة إليه لينقذها.

عاد الطّبيب إلى بيته منهكًا جدًّا؛ رمى بمفاتيحه على الطّاولة

الزّجاجيّة الموجودة في الصّالة ثمّ تداعى على الأريكة الجلديّة وأغمض عينيه للحظات؛ محاولاً اخذ قسط من الرّاحة؛ لكنّه لم ينجح في فعل ذلك. لم يكن تعبه هو السّبب؛ بل الأحداث الّتي عاشها صباحًا هي من منعته لأنّها لم تغادر تفكيره. فشغّل التلفاز ثمّ ذهب إلى المطبخ؛ فتح الثلاّجة وبقي واقفًا أمامها لدقائق؛ ثمّ أعاد غلقها دون أن يأخذ منها شيئًا؛ وللمرّة الثانية فتحها ثمّ أعاد غلقها مجدّدًا. كان يريد القيام بشيء ما لكنّه نسيه؛ فاكتفى بأخذ قارورة ماء وعاد إلى الصّالة.

. السّيول تشرّد آلاف المدنيين وتدمّر ستة آلاف خيمة للنّازحين بالعراق.

. ارتفاع عدد شهداء مجزرة سيناء إلى 305؛ واستمرار ردود الفعل العالميّة المستنكرة للجريمة البشعة.

. مستوطنون يهود يقتحمون باحات المسجد الأقصى المبارك.

. أطفال اليمن « المنسيّون» جروح لم تندمل.

. اعتداء ارهابيين على حلب بالغازات السّامة.

أحسّ ببعض الأسى وهو ينصت لهاته الأخبار. ضغط بقوّة على زر إيقاف التّشغيل بجهاز التحكّم؛ ليقرّر بعد ذلك البحث عن شيء يسلّيه و يفيده؛ وبطبيعة الحال لن يجد أجمل

من الكتاب معلّمًا وجليسًا.

بحث في مكتبته كثيرًا لكنّه لم يجد شيئًا؛ أو بالأحرى لم يجد ما كان يبحث عنه؛ رغم ذلك استمرّ باحثًا. قام يتصفّح العديد من الكتب؛ إلى أن وقع بصره على الكتاب المنشود؛ تنهّد قائلاً: وأخيرًا.

أتكأ على الأريكة. يدٌ تمسك الكتاب والأخرى خلف رأسه ؛وراح يقرأ بشغف. وبينما هو كذلك؛ رنّ هاتفه في الوقت الغير مناسب؛ كانت مكالمة فيديو من حبيبته ألين؛ إنّه الاتّصال المنتظر منذ الصّباح.

سرعان ما سمع صوتها؛ أحسّ براحة كبيرة... بسلام داخليّ يعمّ كامل جسده؛ وبهدوء عميق يغمره؛ ذلك الهدوء الّذي كان يتوق إليه توق المرء إلى العلويّ.

أخبرته عن سبب انشغالها عنه هذا اليوم؛ لكنّ أمير التزم الصّمت. فظنّت أنّه منزعج وغاضب منها لأنّها أهملته؛ ولم ترسل له حتّى رسالة تطمئنه بها عليها. وبينما هي تشرح وتفسّر؛ قاطعها قائلا:

تعرفي إنّي توحشتك بزّاف اليوم؛ وأكثر من أي وقت.

حينها فقط انتهت حيرتها فردّت:

. بعرف. وأنا كمان يا عمري اشتقتلّك كتير.

عن جد إنت مزعوج منّي؛ ما تحاول تخبّي عليّ؛ بعرفك. مستحيل.نقلق منّك؛ إنت عمري وكلشي بحياتي.

ما قلتليش كيف كان يومك ؟.

. بيعئد.

. كل سنة ووالدتك بخير يارب.

. ان شاء الله يا رب؛ بحبّك كتير أنا.

هذه الكلمة الوحيدة الّتي كان ينتظر سماعها. « أحبّك» ؛ هي الكلمة الّتي تسرّع نبض قلبه في كلّ مرّة يسمعها. فردّ قائلاً:

. وأنا تاني نحبّك يا ملاكي.

بغضّ النّظر عن ابتسامته وكلامه. بدى لها هذه المرّة شاحب الوجه في صفرة الأموات؛ فسألته:

. حبيبي شوبو وجّك أصفر. إنت مريض يا عمري؟.

بترجّاك ما تخبّي عليّ.

ردّ أمير مطمئنًا:

. لا حبيبتي مش مريض. يمكن من التعب.

ما تقلقيش عادي حبيبتي؛ يكفيني نسمع صوتك ننسى كل شي مش غير التعب.

. يا ريتني كنت حدّك هلق.

هذا الشّيء نفسه الّذي يتمنّاه أمير كل يوم؛ وفي كل دقيقة تمضي، تنهّد قائلاً:

. ياريت والله. هذا الشّي الوحيد يلّي نتمنّاه كل يوم.

. أمير ...

. ياروح أمير.

. حاجي تكابر؛ ماعاد فينا نتحمّل أكتر.

نحنا عن جد تعبنا.

أمير إمتى بدّك تحكي مع بيّك؛ والله حرام يلي عم بصير معنا. المسكينة لا تعلم شيئًا؛ لا تعلم أنّ والده رجل ظالم لا يفكّر إلاّ في نفسه واسمه ومصالحه الّتي يسعى لقضائها بشتّى الطرق ومهما كلّفه الأمر؛ دون التفكير في أحد.

لا تعلم أنّ والده رجل انتهازي؛ وأنّ حبيبها كان في يوم من الأيام إحدى ضحاياه.

لا تعلم أنّ حبيبها يخفي وراء ستار حبّه حقيقة صادمة. تلك الحقيقة هي السرّ نفسه الّذي دفنه في صحراء قلبه؛ لا لشيء سوى ليحافظ عليها؛ وأن لا يخسرها بعدما وجدها. إذا انكشف فحتمًا سيهوي بكليهما في القاع؛ وهذا ما يدركه هو وتجهله هي.

من كثرة الحب و الاشتياق لم تعد تعرف ماذا تقول وعن ماذا تسأل.

رغم هذا طمئنها أمير بقوله:

. غدوا بإذن الله نفتح معاه الموضوع.

وأنا تاني ماعادش نقدر نصبر؛ كنت مقرر نروح عندوا اليوم أمّا ما لقيتش وقت.

. الله يقدّر يلي فيه الخير.

. ان شاء الله يارب.

. حبيبي؛ شو عم تعمل هلأ ؟ .

. بإيدي كتاب قريت منّو شوي قبل ما تكلميني.

ردّت باسمة:

. عن جد؛ شو اسم الكاتب؟.

. فرانس كافكا؛ وهذا كتابي المفضّل.

. بعرفوا؛ بس ما سبق وقريت كتاباتوا.

طيّب خبرني عن شو بيحكي هيدا لكتاب.

. رسائل كتبها لحبيبتو ميلينا يلّي كان يحبها بجنون؛ رغم البعد والمسافات يلي كانت تفصلهم على بعضهم. كانت البداية بيناتهم كي ترجمت ميلينا قصص كافكا للغة التشيكيّة؛ لأنّو كافكا كاتب وهي كانت مترجمة وكاتبة بنفس الوقت؛ وبعدها

بدت المراسلة بيناتهم كتابيًّا. تلاقوا أوّل مرّة في فييّنا لمدّة أربعة أيّام؛ وكانت هديك أجمل الأيّام في حياتوا.

أكيد تزوّجوا بعدين صح؟

. لا، انقطعت المراسلات بيناتهم؛ لأنّو ميلينا كانت متزوجة من واحد يهودي؛ كان يعاملها معاملة سيّئة؛ رغم هذا ما قدرتش تتخلّى عليه لأنّها كانت خايفا ومتردّدة. وكافكا وقتها كان مريض بمرض السّل؛ آخر مرّة تلاقاها حتّى يعطيها مذكّراتوا.

ردّت بتأسّف:

. يا الله؛ حزينة كتير قصّتهن.

شوقتني كتير أعرف شو مكتوب.

الله يوفقك حبيبي؛ اقرالي شوي؛ فضول يعني وإذا ما بدّك بلاها.

ضحك أمير قائلاً:

. من عيوني؛ ولو.

« إنّني مقيّد إليكِ؛ لا بالحب وحده فالحبّ وحده لا يكفي؛ الحبّ يبدأ؛ الحبّ ينقضي؛ ويأتي مرّة أخرى؛ ولكنّ هذه الحاجة الّتي تقيّدني بالكامل إليكِ هي ما يبقى.... اعلمي تمامًا ميلينا أنّكِ كنت قراري الصّائب حتّى آخر أيّام عمري؛ فسواء بقيتِ في فييّنا أو تخبّطت بين براغ وفييّنا؛ أو لم تختاري

فعل أيّ منهما؛ فماذا ستكون مكانتي في هذا العالم؛ إن كنت لا أعرف ماذا سأفعل معكِ ؟ فلا مكان في هذا البحر العميق يخضع لهذا الضّغط الهائل ؛ فكلّ ما هو في هذه الحياة يقرفني فقد كنت أظنّ أنّني لن أتحمّل العيش؛ لم أحتمل النّاس حولي؛ كما كنت أخجل من نفسي كثيرًا؛ حتّى ظهرتِ أنتِ وأريتني أنّ حياتي لم تكن غير محتملة كما كنت أظنّ..... { فرانس كافكا }.

. واش رايك حبيبتي؟.

. عجبتني كتير؛ حسستني إنّك عم تقرا قصّتنا. بتعرف أمير؛ كل يوم بكتشف فيك شي جديد بيخلّيني حبّك أكتر؛ واتعلّق فيك أكتر، كل المواصفات يلّي تمنيتا تكون في الانسان يلّي بدّي اختاروا بشي يوم تا يكون حبيبي وشريك حياتي؛ لقيتها فيك؛ إنت كتير بتشبهني الإشيا يلّي أنا بحبّا وحتّى يلّي اكرها طريقة كلامك؛ طيبتك؛ شخصيّتك؛ عيونك؛ نظراتك؛ ضحكتك؛ بحب كلشي فيك؛ كل شي؛ أنا بحبك كتير أمير.

تمنّى وهو يستمع لكلامها لو أنّها الآن بجانبه؛ فقد كان بأمسّ الحاجة إليها.

تمنّى لو أنّه التقاها في ظروف مغايرة لظروفه.

تمنّى لو كان بإمكانه أن يخطفها ويخبّئها داخل قلبه؛ أو بين رمش عينيه حتّى لا يبعدها عنه أحد؛ لا المسافات؛ ولا والده؛ ولا أي شيء آخر.

لا يزال يتذكّر كل دقيقة؛ وكلّ لحظة عاشها معها؛ لم ينسى شيئًا منها. هو الآن مشتاق لها بقدر حبّه لها؛ فنظراتها السّاحرة؛ وصوتها الّذي يداعب القلب جعلاه يحنّ للقائها أكثر.

بعيدًا عن لون عينيها؛ وطول شعرها؛ ورشاقة جسمها؛ هو أحبّها لروحها المرحة وخفّة دمها؛ لبراءتها وصدقها؛ لطيبتها وعفويّتها؛ ولإقبالها على الحياة واندفاعها. هي جعلته يدرك أنّ الحياة ليست بالصّعوبة الّتي كان يتوقّعها؛ جعلته يدرك أنّ هناك أشياءً تستحقّ أن يعيش لأجلها؛ وأنّه من حقّه أن يعيش سعيدًا. فأعطت لحياته معنى أخر.

هو أحبّها لذاتها قبل شكلها؛ وهذا هو الحب الصّادق فعلاً. لأنّ جمال الجوهر يفوق كثيرًا جمال المظهر. فالروح تبقى جميلة وإن شاخت ملامح الوجه وإن ذهبت.

مرّ الوقت سريعًا دون أن يشعرا به. خمس ساعات من الحب لم تكن كافية لتخمد نيران اللّهفة والاشتياق الّتي كانت تحرق داخلهما. خمس ساعات تبادلا فيها الكثير من الكلمات الغزليّة؛ والّتي

كان لها تأثير كبير على نفسيّة كلّ منهما؛ فقد كانت بمثابة جرعة مسكّنة لألم البعد والاشتياق.

خمس ساعات؛ حلما فيها بأعين مفتوحة حتّى دقّ النّعاس بابهما.

لقد أحبّها حبًّا جمًّا؛ حبًّا عظيمًا تعجز عن وصفه حروف الأبجديّة وإن اجتمعت.

اعترافات عاشق

أحبّك كما أنت...
بدموعك.... بضحكاتك
بغضبك.... وهدوءك
وبكلّ حالاتك
ومهما كانت المسافات بيني وبينك
فأنا أحبّك
من قال يا سيّدتي أنّ الحب لا يكون
دون عناق ودون قبل
ها أنا ذا أخالف قوانين العشق
وأحبّك.....
بلا مواعيد؛ بلا لقاءات
وحتّى دون عناق أو قبل
أحبّك اليوم وغدًا....
وبعد عام وجيل.... أحبّك
وأنت الّتي سرقتي قلبي منّي
وأعدته إلى الحياة بعد موت طويل
ورغمًا عنه وعنّي

أذكر ذلك اليوم جيّدًا
كنت بكامل أناقتك وروعتك
أنيقة بابتسامتك .... وعفويّتك
سحرتني يا سيّدتي بكل تفاصيلك
حتّى أنّ القمر خجل من سحركِ...
فتوارى عن الأنظار
وسحبتني أنا إلى عمق بحركِ
فأصبحت العاشق لكِ؛ والمتيّم بكِ
والسّاعي دومًا إليكِ
إنّي أشهد يا وحيدة قلبي اليتيم
بأنّ لا أنثى قبلك ولن تكون بعدكِ
أحبّك أنتِ...
كيفما كنت؛ وأينما وجدت
فأنّي أحبّك

تبدو الأيّام كلّها ليالي حتّى ألقاك
واللّيالي تبدو أيّامًا مشرقة إذا
أتاحت لي الأحلام أن أراك.
- وليم شكسبير -

السّاعة: الثّامنة وخمس وأربعون دقيقة.

لقد طلع الضّوء الآن وهناك أمل يستحمّ في الشّوارع؛ ذلك الأمل الّذي أصبح بإمكانه معانقته الآن. لم ينم أمير طيلة اللّيل؛ رغم تعبه الشّديد؛ كان ينتظر حلول الصّباح بفارغ الصّبر؛ لينفّذ ما وعد به حبيبته.

ركن سيّارته أمام بناية ضخمة. رتّب ملابسه ثمّ تقدّم نحو الأبواب الأوتوماتيكيّة بخطى سريعة متجاوزًا كلّ الحواجز الأمنية.

سأل موظّفة الاستقبال بلباقة قائلاً:

. صباح الخير.

هل السيّد عماد تاج الدّين موجود ؟.

أريد مقابلته الآن لو سمحت.

راجعت الموظّفة جدول الخدمة قبل أن تجيبه قائلة:

. السيّد عماد في اجتماع الآن.

بإمكانك مقابلته في وقت لاحق.

لم يعر أمير كلامها اهتمامًا؛ بالتّأكيد هو لن ينتظر نهاية الاجتماع ليدخل.

حذّرته الموظّفة وهي تركض خلفه محاولة منعه من اقتحام قاعة الاجتماعات قائلة:

. لا يسمح لك بالدّخول يا سيّد؛ ليس من حقّك مخالفة الأوامر. أرجوك توقّف وإلاّ.....

التفت إليها أمير بغتة؛ وخطى بضع خطوات للوراء ليعود لها؛ ظنّت لوهلة أنّه تراجع أخيرًا حدّق في عينيها مبتسمًا؛ وقبل أن يعرّف بنفسه سألها:

. أظنّ أنّك جديدة هنا صحيح ؟ لهذا لم تعرفيني.

حسنًا؛ أنا أمير تاج الدّين ابن السيّد عماد.

أتمنّى أن لا تمنعيني بعد الآن.

عندما رآه والده يقتحم المكتب بتلك الطّريقة اضطرّ إلى الغاء الاجتماع فورًا.

لم يسأله لما فعل ذلك؛ بل تظاهر بأنّه سعيد لرؤيته؛ فتح يديه مرحّبًا به؛ لكنّ نظرة أمير السّاخرة صرفته عن ذلك.

ابتسم والده قائلاً:

. لقد فهمت ما تودّ قوله. أنت لم تأتي إلى هنا لأنّك مشتاق إليّ.

أخبرني إذن ما سبب زيارتك المفاجئة.

أجابه أمير ضاحكًا:

.مشتاق إليك!

دعنا لا نكذب على بعضنا أرجوك؛ لنكن صادقين مع أنفسنا ولو لمرّة واحدة.

. اختصر ليس لديّ وقت لأضيّعه في سماع تفاهاتك هاته.

. لا تقلق؛ سأدخل في الموضوع دون مقدّمات.

أنا ورانيا سننفصل؛ لا يوجد حب بيننا ولا توافق.

لقد حاولنا كثيرًا لإنجاح هذا الزّواج لكنّنا لم نستطع.

. ماذا قلت ؟؛ لا حبّ بينكما.

انفجر ضاحكًا ثمّ واصل قائلاً :

. أظنّك قد نسيت بأنّ بينكما طفل؛ ما ذنبه حتّى يدفع ثمن أخطاءكما.

ثمّ إنّ كذبة الانفصال هذه أنت وراءها؛ رانيا لا دخل لها.

لذى أخبرني السبب الحقيقي الّذي جعلك تتخذ قرارًا أحمقًا كهذا؛ هيّا فأنا أستمع إليك.

مدّ أمير يده إلى جيبه مخرجًا علبة السجائر؛ أشعل سيجارته ورمى بالعلبة فوق المكتب. قال بنبرة مستفزّة:

. ما الّذي يجعلك متأكدًّا من أنّ هذا كلامي أنا وليس كلام رانيا؟

إلاّ إذا كنت قد هدّدتها بشيء ما؛ هكذا تضمن أنّها لن تفتح فمها وتطلب شيئًا كهذا.

نجح أمير هذه المرّة في أن يزعزع هدوء والده؛ فكلامه أصاب حجر الزاوية.

لقد أربكه سؤال أمير بقدر ما أذهله أسلوبه؛ فهذه هي المرّة الأولى الّتي يقف فيها أمام والده بكامل قوّته.

هذه المرّة الأولى الّتي يتجاوز فيها الابن البار جميع الخطوط الحمراء الّتي رسمها والده.

صاح به قائلاً:

. هل فقدت عقلك؟

منذ متى تكلّمني هكذا؟.

سحب أمير من سيجارته نفسًا عميقًا ثمّ ردّ وهو يلوّح بيده في الهواء:

. من الآن فصاعدًا.

ابتسم والده بمكر وهو يقول:

. طيّب ؛ دعني أخبرك شيئًا.

أنت لم تأتي إلى هنا لتخبرني أنكما ستتطلّقان؛ بل أتيت من أجل أمر ثالث كنت قد سألتك عنه لكنّك لم تجبني.

. تقول أمر ثالث!

مثل ماذا ؟.

. مثل دخول امرأة جديدة حياتك.

اطمئن فأنا على دراية بكلّ ما يحدث حولي.

هيّا أخبرني كيف تسير الأمور بينكما بعد أن عدتما من باريس؛ لا تحاول الانكار.

صعق أمير من كلام والده؛ تسأل في قرارة نفسه:

كيف علم بالأمر؟

إذا كان حقّا يعرف كلّ شيء؛ لماذا لم يمنعني؟

لماذا بقي صامتًا لحدّ الآن؟.

اللّعنة؛ لا بدّ من أنّه كان ينتظر مجيئي إليه بنفسي.

حاول أمير اخفاء ارتباكه بابتسامة؛ وقبل أن يجيبه حاول أن يختبر صحّة معلوماته فسأله:

. إذا كنت حقّا تعلم كلّ شيء؛ أخبرني اسمها على الأقل كي أتأكّد.

. هذا ليس مهمّا بالنسبة لي حاليًّا؛ يكفي أنّني أعلم أنّكما التقيتما في باريس.

حتّى أنّها كانت تنزل في نفس الفندق الّذي كنت تنزل فيه.

وإذا لم تصدّقني سأخبرك بالتّفصيل أين ذهبتما؛ وماذا فعلتما

طلية الفترة الّتي قضيتماها معًا

سكت هنيهة ثمّ استرسل قائلا:

أعلم أنّك تتساءل؛ كيف علمت بكلّ هذا.

لا تستغرب؛ فلا شيء يخفى على رجال المال والأعمال هل نسيت؟.

ردّ أمير باستهزاء:

. بما أنّك تعلم كل شيء؛ فقد أرحتني من الشّرح والتفسير.

أنا احبّها؛ وسأفعل المستحيل لأجلها؛ مهما حاولت أن تقف في طريقي سأتزوّجها.

أجابه ببرودة أعصاب:

أفهمك. هذه مجرّد نزوة عابرة يا ابني.

الأمر ليس أكثر من نزوة صدّقني؛ حاول أن تستوعب هذا قبل....

لم يترك له أمير فرصة ليكمل كلامه؛ صرخ في وجهه:

. من أنت حتّى تنصحني ماذا أفعل.

أظنّك قد نسيت أنّ هذه حياتي؛ وليست مشروعًا من مشروعاتك الرّابحة.

لقد نفذ صبري؛ تحمّلتك كثيرًا؛ لكن تأكّد بأنّني لن أسكت بعد الآن.

. لن تسطيع فعل شيء؛ أنا أضمن لك هذا؛ لن تتزوّجها دون إذن منّي.

. هلاّ أرحتني من أوامرك.

هل أنت متأكّد من أنّني ابنك؟ الّذي من لحمك ودمك!.

. بالتأكيد أنت ابني الوحيد؛ لهذا أنا أفكّر دومًا في مصلحتك.

. تقصد مصلحتك الّتي هي قبل مصلحتي.

حاول والده أن يبدوا لطيفًا أكثر فأجابه بأسلوب آخر:

. إذا كنت مصرًّا على الزّواج من هذه الفتاة؛ فتزوجها.

لكن ليس الآن؛ فليس هذا هو الوقت المناسب.

. لابدّ من أنّك تمزح؛ متى برأيك؟.

. اصبر قليلاً؛ وقبل أن تفكّر في مخالفة أوامري؛ تذكّر أنّها لا تعلم شيئًا عنك.

لذا كن عاقلاً؛ فعصيانك هذا وعصبيتك الزّائدة لن يتضرّر منها أحد غيرك.

. أأعتبر هذا تهديدًا جديدًا منك؟ .

. فسّره كما شئت.

ضرب أمير بقبضة يده على سطح المكتب؛ كان سيتصرّف تصرّفًا آخر؛ لولا الدّخول المفاجئ لأحد الموظّفين وهو يحمل

بيده مجموعة أوراق وملفّات كان قد طلبها السيّد عماد مسبقًا للاطّلاع عليها قبل أن يوقّعها؛ قال وهو يضعها أمامه:

. أعتذر؛ لم أقصد مقاطعتكما.

هذه كلّ الملّفات الّتي طلبتها منّي حضرتك.

ردّ السيّد عماد قائلاً:

. لا عليك السيّد أمير كان ذاهبًا بكلّ الأحوال.

رمى أمير بسيجارته على الأرض وداس عليها بغضب؛ ثمّ غادر. صفع باب المكتب بقوّة تاركًا جميع الموظّفين في حيرة من أمرهم.

ما كان بيده حلّ آخر، الأفضل له أن يغادر لأنّه لن يتوصّل معه لحلّ مرضي سواءً طال الحديث أو قصر.

فمهما قال؛ ومهما حاول جاهدًا أن يفشل مخطّطات والده؛ إلاّ أنّه يبقى عاجزًا أمام مكره ودهائه؛ لا يستطيع التفكير مثله لأنّه شاب نظيف القلب.

كان يقود سيّارته بطريقة جنونيّة؛ فتفكيره مشوّش جدًّا؛ لا يدري ماذا يفعل؛ وإلى أين يذهب هو لا يستطيع ترك حبيبته في منتصف الطّريق وحيدة؛ كما لا يستطيع أن يخبرها الحقيقة بكلّ ما تحمله من وجع وألم ومعاناة وخيبة.

إن فعل ذلك فحتمًا سيصدمها صدمة العمر الّتي ستقضي عليها؛ سيقتل قلبها البريء الّذي احتواه يومًا ما بكلّ صدق وحب؛ ذلك القلب الّذي لم ينبض لأحد سواه.

لينتهي به الأمر أخيرًا عند باب صديق طفولته وبئر أسراره « ضرار»، سرعان ما فتحت والدة ضرار الباب حتّى ارتمى في حضنها كطفل صغير مشتاق لأمّه؛ فقد كان بأمسّ الحاجة إليها؛ وأكثر من أيّ وقت مضى.

فلا أحد يفهم شعور اليتيم وما يعانيه إلاّ يتيم مثله؛ ولا أحد يعلم ما يعنيه الفقد وما قد يفعله بصاحبه إلاّ من جرّبه.

فهمت من عينيه أنّه ليس على ما يرام؛ فتراجعت عن سؤالها حتّى يهدأ.

قالت وهي تمسح على رأسه:

. لو كنت أعلم أنّك مشتاق إليّ بهذا القدر؛ لكنت أتيت إليك بنفسي.

. أعلم أنّني مقصّر في حقّك.

فأنا لم آتي لزيارتك منذ أن عدت من باريس.

قبّل يدها ثمّ واصل قائلاً:

سامحيني هذه المرّة وأعدك بأن....

قاطعته ضاحكة:

. هيّا أدخل أولاً؛ وهل لي أن لا أسامحك.

كنت أمزح معك فقط؛ أعلم بأنّك مشغول جدًّا.

لا فرق بينك وبين ضرار يا بنيّ وأنت تعلم هذا.

قال وهو يهمّ بالجلوس:

. منذ أن فقدت والدتي لم يبقى لي أحد سواكما أنت وضرار،أنتما عائلتي حقّا؛ شكرًا لأنّكما في حياتي.

. على ماذا تشكرنا يا بنيّ ؟ ما دمت تعتبرنا عائلتك، إذا سمعت تتكلّم هكذا مرّة أخرى فسأغضب منك ولن....

. ولن تكلّميني ثانية؛ هذا ما تودّين قوله.

حسنًا؛ سأفعل كلّ شيء؛ المهم عندي أن تكون راضية.

ابتسمت السيّدة مريم قائلة:

. حفظك الله يا بنيّ؛ وأعطاك ما تتمنّى.

. آمين.

أخبريني خالتي؛ هل ضرار هنا؟.

ضرب ضرار على كتفه مجيبًا بذلك على سؤاله:

. أنا هنا يا صديقي.

وأخيرًا تنازلت وأتيت لزيارتنا.

ثمّ التفت إلى والدته وقال:

. في الفترة الأخيرة لم نعد نلتقي أنا وأمير خارج فترات دوامنا بالمشفى؛ أحيانًا نلتقي بالصّدفة في كافتيريا المشفى وأحيانًا أخرى لا تلتقي أبدًا.

تنهّد أمير وقال مؤيّدًا:

. معك حق.

لن أكذب عليك؛ لم أكن أنوي المجيء إلى هنا.

كنت قلقًا جدّا؛ حتّى أنّني جلت بسيّارتي نصف شوارع المدينة باحثًا عن الهدوء.

إلى أن وجدت نفسي أقف عند بابك.

قالت السيّدة مريم:

سأحضر لكما الشّاي مع الكعك بالشوكولا الّذي تحبّانه.

ردّ أمير ملحًّا:

. لا تتعبي نفسك أرجوك يا خالتي.

. تعبكم راحة يا بنيّ.

وضع ضرار يده على ركبة أمير وقال له:

. تكلّم يا أمير؛ خفّف عن قلبك قليلاً.

أنا لست غريبًا عنك؛ أنا أخاك قبل أن أكون صديقك؛ هل

نسيت هذا ؟ .

. لولم تكن كذلك لما كنت الآن أجلس معك.

. هيّا أخبرني إذًا. ما الّذي يقلقك طيلة هاته الفترة؛ أتظنّ بأنّني لم ألاحظ ذلك.

أنت لم تكن بارعًا في إخفاء حزنك؛ فملامح وجهك فضحتك . أهو واضح عليّ؟.

كثيرًا.

حكى أمير لصديق عمره ما حصل معه؛ على أمل أن يجد عنده الحلّ المناسب لمشكلته الّتي أثقلت كاهله وأنهكت عقله وقلبه. لكنّ ضرار لم يعد أقلّ منه قلقًا وتوترًا؛ فقد تفاجئ حقًّا بما سمعه من أمير.

قال أمير ملحًّا:

ـأرجوك يا ضرار فكّر معي؛ ماذا أفعل برأيك؟.

دلّني؛ فأنا أحبّها ولا أستطيع أن أتخلّى عنها.

أشار له ضرار بسبابته وهو يقول:

ـأنت بفعلتك هذه؛ أصبحت نسخة عن والدك.

كيف تكذب في أمر كهذا يا أمير؟.

منذ متى أصبح حبل الكذب وسيلة للنّجاة؛ ألا تعلم أنّه

قصير جدًّا.

توقّف يا ضرار؛ لا تجعلني أندم أنّني لجأت إليك.

ارحمني يا أخي؛ يكفيني من هم ضدّي؛ لا تزيدها عليّ.

.أنا لا ألومك يا أمير لأنّك أحببتها؛ بل ألومك لأنّك كذبت عليها.

لو لم يكن أمرك يهمّني لما تدخّلت.

. أعلم بأنّني مخطأ.

حاولت عدّة مرّات أن أخبرها بالحقيقة لكنّني لم أستطع.

حبّي لها أعماني؛ وخوفي من خسارتها منعني من ذلك

لا أستطيع يا ضرار افهمني أرجوك.

حسنًا؛ هل أعجبك حالك هذا؟

أخبرني؛ إلى متى ستبقى تكتم هذا السرّ عنها

ارحم نفسك على الأقل؛ أنت تعيش على أعصابك يومًا كاملاً.

زيادة على هذا إنّك تركض وأنت واقف في مكانك؛ وهذا ما سيضاعف من تعبك دون أن يتغيّر في الأمر شيئًا.

تنهّد أمير قائلاً:

. معك حق.

انصحني إذًا ماذا أفعل يا ضرار؟

. أخبرها الحقيقة كاملة؛ دون أن تأجل ذلك ساعة اخرى أو

تنتظر يومًا آخر.

. أتعتقد أنّ الأمر بهذه السّهولة؟

لنفترض أنّني فعلت ذلك؛ حتمًا ستتخلّى عنّي ولن تسامحني يا ضرار.

اهدأ قليلاً؛ اليوم أو غدًا هي ستعلم بكلّ الأحوال.

لذا كلّما عجّلت في ذلك كلّما كانت الصّدمة أقل، إذا كانت من نصيبك فلن يمنعك من الزّواج منها أحد؛ ألم تقل أنّها تحبّك؛ لما أنت خائف إذن؛ حتمًا ستتفهّم؛ ربّما تغضب منك في البداية لكنّها في الأخير ستسامحك.

هيّا اتصل بها.

الآن...؟

. نعم الآن.

وضع أمير يده في جيبه ليخرج هاتفه؛ لكنّه لم يجده.

ظنّ أنّه قد نسيه داخل السيّارة؛ فعاد إليها باحثًا عنه في كلّ مكان فيها؛ لكنّه لم يجده.

قال ضرار:

. ربّما نسيته في المنزل يا رجل

. أعتقد ذلك.

أرأيت كلّما حاولت إنهاء الأمر تظهر أمامي ألف مشكلة تمنعني من ذلك.

ـلا عليك؛ اتصل بها من هاتفي.

. لا أظنّها فكرة صائبة؛ فهي لا تردّ على رقم لا تعرفه.

. حاول لن تخسر شيئًا.

رنّ الهاتف طويلاً لكنّها لم تجب؛ فأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يعاود الاتصال بها ثانية؛ كانت دقّات قلبه تتسارع أكثر فأكثر؛ ولحسن الحظ أنّها ردّت قبل أن يتراجع عن قراره.

ـألو ؛ من معي ؟.

. هذا أنا أمير؛ لقد نسيت هاتفي في المنزل صباحًا لهذا أتصل بك من هاتف ضرار.

. حبيبي؛ هل أنت بخير؟

. أنا بخير لا تقلقي

أخبريني ما كلّ هاته الضجّة الّتي أسمعها؛ أين أنت الآن؟.

. إنّه صوت ماكينات الخياطة؛ فأنا في العمل حاليّا أتيت إلى هنا لأتفقّد الأوضاع.

. ألين؛ أريد أن أخبرك شيئًا.

. ليس الآن؛ فأنا مشغولة جدًّا

وعليّا أن أذهب؛ لا تقلق سأتصّل بك لاحقًا

اتفقنا؟.

. حسنًا؛ اتفقنا.

. أمير...

. نعم.

. أنا أحبّك جدًّا تذكّر هذا.

. وأنا أيضًا حبيبتي.

انتبهي على نفسك.

انتهت المكالمة سريعًا لينتهي معها قلق أمير وخوفه.

في الحقيقة هو لم يكن متردّدًا في إخبارها بسرّه؛ بل كان يخشى فقدانها للأبد وهو بأمسّ الحاجة إليها.

لم يكن يفكّر في نفسه بل كان يفكّر فيها؛ لا يمكن له أن يقتلها برصاصة الخذلان بغتة؛ لا يمكن له أن يكون سببًا في حزنها بعدما أسعدها.

كيف له أن يفعل بها ذلك؛ وهو الّذي وعدها بأنّه سيفعل المستحيل لأجلها ولأجله؛ ليكونا معًا

قضى أمير يومًا كاملاً رفقة ضرار؛ شاهدا سويًّا مباراة فريقهم البرشلونيّ ضدّ نظيره المدريدّي؛ حيث فرحا كثيرًا بفوز برشلونة بنتيجة ثلاثة أهداف مقابل هدف واحد.

كان سينصرف بعدها؛ لكنّ السيّدة مريم ألحّت عليه بالبقاء؛ فتناول معهم طعام العشاء ثمّ عاد إلى بيته. لقد قضى وقتًا لا بأس به من الرّاحة وسط عائلته الثّانية؛ تحرّر من كامل همومه وأحزانه؛ قبل أن يعود إلى عالمه الصّغير.

استلقى على سريره وأغمض عينيه لبعض الوقت يحاول أن يستجمع أفكاره. عليه أن يقرّر حالاً إمّا أن يصبر كما أمره والده وفي الأخير يتزوّج بالفتاة الّتي أحبّها؛ وإمّا أن يعمل بنصيحة صديقه وينهي الأمر هنا وليحدث ما يحدث بعد ذلك. لا يوجد أمامه حلّ ثالث؛ فهو الآن مفلس من جميع الحلول.

رنّ هاتفه في الوقت المناسب وقطع حبل أفكاره؛ بحث عنه كثيرًا في الغرفة وبين الملابس وفي الصّالة؛ ليجده أخيرًا في المطبخ؛ لقد نسيه هناك عندما كان يتناول وجبة فطوره؛ فأخذه وعاد إلى غرفته دون أن يلقي نظرة عليه ليعرف من المتّصل؛ لأنّه كان متأكدًّا من أنّها ألين.

بعد السّلام؛ والسّؤال عن الحال والأحوال؛ وبعد سحب كثيفة من كلمات الحب والغرام؛ سألته عن الشّيء الّذي كان يريد إخبارها به صباحًا.

ساد الصّمت أجواء المكالمة للحظات؛ بقي ينظر إليها دون أن ينطق كلمة واحدة. وبينما فتح فمه ليجيبها؛ تشكّلت في ذهنه

صورتها وهي تركض تحت المطر؛ وأيضًا وهي تضحك وتبكي في الوقت نفسه.

في تلك اللّحظة خاطبه قلبه بأن يتراجع عن إخبارها بالحقيقة؛ وأمره عقله بعكس ذلك. وبين قلبه وعقله كان مجبورًا أن ينصاع لأمر قلبه؛ فأجابها قائلاً:

. لا شيء؛ كنت سأقول بأنّني أحبّك أكثر من نفسي ومن كل شيء على الأرض؛ أحبّك.

حاولت ألين جاهدة أن لا تضعف أمامه؛ أن لا تجعله يرى دموعها؛ فوضعت يدها على عينيها حتّى تمنع حدوث ذلك؛ ورسمت على شفتيها ابتسامة كاذبة كي لا ينكشف أمرها. تنفّست بعمق؛ تحتضر في صدرها صرخة الاشتياق؛ لم يسألها ما بها لأنّه كان مدركًا من أنّها تبكي حتّى وإن لم تنزل من عينيها دمعة واحدة؛ هو يشعر بها ويفهمها قبل أن تتكلّم.

ردّت بصوت مضطرب:

. وأنا أحبّك أضعاف ما تحبّني.

بكلمة غزليّة أبكاها؛ كيف إذا أخبرها بأنّه متزوّج ولديه طفل؛ حتّى لو شرح لها السّبب وراء زواجه؛ وحتّى لو صارحها بأنّه لا يحبّها وأنّه سينفصل عنها؛ هي لن تتفهّم شيئًا؛ لن تسأله حتّى لماذا وكيف تزوّج؛ حتمًا ستعتبره خائن؛ وهذا الشّيء الّذي

فكّر فيه أمير كثيرًا ولم يستطيع تحمّله.

. أمير هل أخبرت والدك عنّي؟.

قصدي عن علاقتنا؛ أنت قلت لي بأنّك ستفاتحه اليوم في الموضوع .

. اطمئنّي؛ هو الآن يعلم كلّ شيء.

. طيّب؛ وماذا قال؟ .

هل رفض كما كنّا نظن .

. لا؛ الشّيء الإيجابي في الأمر أنّه لم يمنع زواجي منكِ.

. هذا خبر رائع؛ ما هو الشّيء السّلبي إذًا ؟ .

. طلب منّا أن نصبر قليلاً.

نصبر!.

ولكن لماذا ؟.

. هو مشغول جدًّا هذه الفترة؛ فشركته تمرّ بوضع صعب حاليًّا سرعان ما يتجاوز هذه الأزمة سنأتي ونطلب يدك.

. حسنًا؛ فهمت.

المهم عندي أن نكون معًا في الأخير.

لأجل هذا سنتحمّل أليس كذلك يا أمير.

. أحبّك يا ألين.

. وأنا أموت فيك.

ما زادني البعد منه إلاّ مقربة
وكيف أنسى الّذي ما كان ينساني.
- نزار قبّاني -

مرّت أسابيع وشهور طويلة جدًّا على أولئك العاشقين اللّذين لا حول لهما ولا قوّة. لقد أنهكه البعد بقدر ما أنهكها؛ رغم هذا هو خدمها نوعًا ما؛ فألين هي العاشقة الّتي لم يزدها البعد إلاّ شوقًا؛ كانت هي القريبة رغم كلّ شيء؛ لا يمرّ يوم واحد دون مكالمات أو رسائل؛ صباحًا ومساءً وليلاً، يوم وراء يوم كان حبّهما يكبر؛ فيكبر معه الشّوق أيضًا؛ إنّه الحب المسلم الّذي اعتنق ديانة الصّبر بكلّ ما أوتي من قوّة.

كان كلّ شيء يسير على ما يرام طيلة هاته الفترة؛ إلى أن حلّ ذلك اليوم الّذي اختفى فيه أمير من حياتها فجأة تمامًا كما ظهر أمامها أوّل مرّة.

عشرون يوم مضت على آخر مكالمة تلقّتها منه؛ كان قد أخبرها فيها بأنّ والده أصيب بحالة رئويّة نادرة وأنّه يرقد في المشفى؛ لذى يجب عليه الاعتناء به؛ كما طلب منها أن تعتني بنفسها جيّدًا.

كانت تلك هي المرّة الأخيرة الّتي تسمع فيها كلمة أحبّكِ.

حاولت الاتّصال به كثيرًا بعد ذلك لكنّ هاتفه كان مغلقًا؛ فجرّبت الاتّصال بصديقه ضرار؛ فلم يجب على اتّصالاتها هو الآخر كانت عاجزة عن فعل أيّ شيء؛ حتّى أنّها تفقدّت حسابه على فايس بوك؛ فتفاجأت بأنّه قام بإلغاء تنشيطه.

عشرون يوم من الألم و الدّموع.

عشرون يوم من الخوف والعذاب.

عشرون يوم؛ عاشتها الفتاة المسكينة على أعصابها.

أسئلة كثيرة كانت تدور في خلدها؛ ولم تكن تجد لها إجابة ابدًا؛ لماذا اختفى فجأة ؟؛ لماذا تركني وهو يعلم بأنّني لا أستطيع من دونه؟ لماذا ....؟؛ ولماذا ....؟؛ وألف لماذا....؟

كانت تنام كلّ ليلة على صورته؛ وتصحوا على صورته. لم تكن تدري أنّ غياب حبيبها عنها ليس إلاّ بداية أولى لمشوار العذاب الطّويل.

لم تكن تدري أنّ وراء السّلام الّذي تعيشه وسط عائلتها وأحبّاءها؛ هناك حرب في الأفق.

لم تكن تدري؛ أنّ أيّام النّعيم ستنتهي؛ وأنّ هناك جحيم ينتظرها.

إنّه اليوم الأسود الّذي غيّر حياتها 360 درجة.

* * *

6:59:88

7:00:00

7:30:45

في هذه الأثناء تتجهّز ألين للخروج من المنزل؛ فهي مشغولة جدًّا بالتّحضير لأهمّ يوم في حياتها؛ إنّه يوم عرض الأزياء الّذي انتظرته طويلاً؛ والّذي لم يتبقّى عنه سوى يومان؛ حيث ستعرض فيه جميع تصاميمها الّتي تحمل اسمها وكذا توقيعها.

ارتدت سروال جينز وقميصًا أبيضًا زيّنته نجوم وسلاسل على الكتف؛ وانتعلت حذاءً رياضيًّا بنيّ اللّون.

اقترب من المرآة وهي ترتّب خصلات شعرها الذهبيّة؛ لترى بوضوح صورتها المنعكسة عليه؛ حدّقت في عينيها جيّدًا؛ ثمّ تنهّدت قائلة: « جميلة بحظّ عاثر».

أخفت حزنها بوضع قليل من البودرة على وجهها؛ ورسمت خط أيلاينر دقيق فوق عينيها؛ ثمّ أضافت شيئًا من الماسكارا؛ ورشّت رشتًا خفيفة من العطر على معصم يديها ورقبتها وقبل أن تغادر؛ تفقّدت حقيبتها لتتأكّد من أنّها لم تنسى شيئًا.

تقدّمت نحو باب غرفتها بخطوات سريعة؛ وما كادت تلامس يدها مقبض الباب؛ حتّى تعثّرت إحدى قدماها بوسادتها الملقاة

على الأرض. تحتضنها ليلاً وتبلّلها بدموعها؛ وترميها صباحًا بكل غضب كأنّها بذلك تعاتب نفسها وتلومها لأنّها لا تزال تفكّر فيه؛ وهو الّذي لم يسأل عنها منذ أن تركها. تتفشّش في وسادتها لأنّها تذكّرها بليلتها الحزينة والمؤرّقة؛ الّتي تقضيها بين حسرة وسؤال... حاولت ألين أن تكون هادئة هذا الصّباح؛ لكنّها فشلت في تحقيق ذلك.

قالت بقلق:

. الله يستر.

نزلت درجات السلّم باندفاع؛ في الوقت الّذي كان يقرع فيه جرس المنزل مرّات متتالية؛ وبينما تقدّمت الخادمة لفتح الباب؛ منعتها ألين قائلة:

. خلّيكِ أنا بفتح.

أكيد هيدا نزار؛ بيكون نسي مفتاحوا متل العادة.

بقيت واقفة في مكانها تنظر إلى الرّجلين الواقفين أمامها دون أن تتكلّم؛ فقلبها لم يحدّثها خيرًا في تلك اللّحظة.

قال أحدهم وهو يقدّم لها بطاقته :

. يسعد صباحك

نحنا من الشرّطة.

ردّت بصوت يملأه الخوف:

صباح الخير

تفضّلوا.

. هيدا بيت السيّد وديع الفاروق؟.

. إيي نعم

وأنا بكون بنتوا.

. بيأسفنا نخبرك إنّو السيّد وديع وزوجتوا عملوا حادث سير؛ وهنن هلأ بالمشفى.

أسقطت ألين ما كان بيدها من شدّة الصّدمة؛ قالت والدّموع تملأ عينيها:

. لا؛ ما بصدّقك

أكيد في غلط؛ فيكن ترجعوا تتأكّدوا الله يخلّيكن.

طأطأ الشرطيّ رأسه قائلاً :

. كنّا منتمنّى هالشّي بس...

لم تستوعب ألين ما قاله؛ ركضت إلى الشّارع كالمجنون؛ تلتفت يمينًا وشمالاً؛ تلوّح بيدها لكلّ سيّارة أجرة تمرّ من هناك. ولحسن الحظّ أنّها لم تنتظر كثيرًا؛ فصديق أخيها أرون كان قادمًا إليهم وعندما صادفها في طريقه توقّف.

ركبت ألين وأغلقت باب السيّارة بقوّة قائلة:

. كنان الله يوفقك؛ خدني بسرعة على.....

قاطعها :

. ع المشفى مش هيك

أرون اتّصل فييّ وخبرني؛ ما تقلقي ألين هنّن بخير هلأ اطمّني.

قالت وهي تمسح دموعها:

. أرون خبّرك إلك وما خبّرني!

ليه عمل هيك؟.

أخذ كنان يهدأ من روعها:

. ما كان قاصد يخبّي عليْكِي؛ هوّي كان خايف يصرلك شي لا سمح الله.

خاف تنصدمي؛ أكيد كان راح يخبرك بعد ما يطمّن عليهن هلأ منروح وبتشوفي بعينك.

. دخيلك يا كنان؛ سوق أكتر من هيك

ما عاد فييّ اتحمّل؛ والله.

. حاضر؛ بس إنت حاولي تهدي بالأوّل.

لم يكن كلام كنان كافيًا لإقناعها بأنّ والديها بخير حقّا كما

أخبرها؛ فهي لم تهدأ ولم تكفّ عن ذرف الدّموع طيلة الطّريق؛ لن تصدّق شيئًا حتّى تتأكّد من ذلك بنفسها.

في اللّحظة الّتي وصلا فيها؛ كانت هناك سيّارة إسعاف تدخل المشفى؛ مدوّية بصوتها كلّ مكان. لابدّ من أنّ المصاب الّذي تحمله في حالة حرجة.

سأل كنان إحدى الممرّضات عن الطّابق الّذي تتواجد فيه غرفة العمليّات؛ فأجابته قائلة:

. في الطّابق التالت عا إيدك اليمين.

. ميرسي كتير.

فتح باب المصعد على ممرّض يدفع كرسيًّا متحرّكًا؛ عندما رأت ألين المرأة الّتي تقعد عليه تذكّرت والدتها؛ فأمسك كنان بيدها محولاً بذلك طمئنتها.

وسرعان ما لمحت نزار؛ ركضت إليه وهي تهتف باسمه:

. نزار؛ نزار احكيلي كيف صار معهن الحادث

وكيفن هلأ؛ دخيلك ما تخبّي عليّ شي يا خيّ.

عانقها وهو يقول:

. اهدي حبيبتي. إمّي بخير؛ في كسر بإيدا وشويت جروح بسيطة عالجولها ياهن

وأرون جنبا هلأ.

. الحمد لله يا ربّي

طيّب والبابا.

. فوّتوه هلأ ع العمليّات؛ مش طالع بإيدينا شي غير إنّا ندعيلوا.

جلسا على كراسي الانتظار؛ يدها بيده وأسندت رأسها على كتفه؛ وراحا يحتضنان الدّقائق بكلّ خوف وقلق. تلك الدّقائق الّتي كانت تمرّ عليهما بثقل عظيم.

بدقّات قلب متسارعة وأنفاس تحتضر؛ وبعيون باكية ووجوه لوّنها الخوف بالأصفر؛ لونه المفضّل الّذي لا يقوى على مفارقته أبدًا. لا خيار أمامهما الآن سوى الانتظار؛ ذلك الفصل البارد الّذي يلعب بالأعصاب كيفما شاء.

رغم الخوف لا يزال هنالك أمل؛ هكذا كانا يقولان؛ إنّه الأمل الّذي ولد فجأة من رحم الانتظار. سيأتي الخبر السّار؛ ويطفئ النّار الّتي تشتعل داخلهما؛ سيأتي وسيقتل شعور الانهيار.

فتح باب غرفة العمليّات أخيرًا؛ وخرج الطّبيب حاملاً إليهم إمّا خبرًا مفرحًا أو سيّئًا؛ إمّا خبر موت أو حياة.

قفز جميعهم من أماكنهم والتفّوا حوله؛ سأله أرون بلهفة حزينة:

. كيف حال والدنا يا دكتور؟

هل هو بخير؛ طمنّا أرجوك.

نظر الطّبيب إليهم بأسف ثمّ طأطأ رأسه قائلاً:

. البقاء لله .

هذا هو الجواب الوحيد لسؤالهم؛ لكنّه لم يكن الخبر الّذي انتظروه لساعات. كان من الصّعب جدًّا على ألين أن تصدّق ما سمعته؛ بقيت تلك الكلمة تتردّد في صدى أذنيها كثيرًا كانت تبكي وتصرخ؛ تسقط وتنهض؛ وتضري بيديها ورجليها على باب الغرفة الّتي يرقد فيها والده. لم يستطع لا نزار ولا أرون تهدئتها؛ فوجعها كان أكبر من صدمتها. لم تهدأ ولم تغادر المشفى حتّى رأته بعينيها.

كان مغمض العينين؛ شاحب الوجه؛ بارد الجسد. أمسكت بيده والدّموع تنزل على وجنتاها كالمطر؛ وراحت تكلّمه بصوت حزين وعبارات ترفض الفراق:

. بترجّاك يا بيي ما تعمل فييّ هيك؛ بعرف إنّك عم تسمعني؛ أنا ما راح اتركك لحالك اطمّن بس إنت رد عليي يا حبيب قلبي؛ دخيلك ما تتركني؛ إنت ما بتعملا بعرفك؛ هنّن عم يكزّبوا إلتلّن إنّك راح تفيق؛ بس هنّن ما صدّقوني يا بيي ... قبّلته من جبينه ثمّ وضعت رأسها على صدره. حاولت ايقاظه

كثيرًا؛ لكنّها لم تنجح في ذلك فوالدها الآن سيظل نائمًا إلى الأبد. بقيت المسكينة على ذلك الوضع عدّة أيّام. إلى أن غاب صوتها من الصّراخ؛ ونشفت دموعها من شدّة البكاء؛ كانت مجبورة على تقبّل حقيقة رحيله عنها بشكل أو بآخر. أصبحت تذهب إلى قبره كلّ صباح؛ تجلس بجانبه وتتكلّم معه كما لو أنّه لايزال على قيد الحياة؛ هو مات لكنّه سيبقى حيًّا في قلبها وعقلها.

كانت كلّ يوم تقف عند باب منزلهم تنتظر عودته. فبالرّغم من أنّ الجميع حولها ؛ أمّها وأخويها وعمّتها وأولادها؛ وحتّى أصدقاءها وأصدقاء العائلة؛ كلّهم كانوا بجانبها ولم يتركوها؛ إلاّ أنّها لا تزال تشعر بالوحدة؛ لاتزال تشعر بالنّقص. فإن كان النّور حولها؛ فإنّ الظلام كان داخلها. كانت ترمقهم بنظرات لم يفهموها؛ تسألهم دون أن تتكلّم:

. أين أبي؟.

أين حبّها الأوّل الّذي كان اسمه هو أوّل كلمة نطقتها « بابا »؟

أين من أطفأت معه أوّل شمعة في عمرها؟

أين من كان يحكي لها كلّ يوم قصّة ما قبل النّوم؟

أين ذلك الرّجل العظيم الّذي رافقها إلى المدرسة؛ وكان بجانبها

في أوّل بداية لها في مشوار حياتها إلى يوم تخرّجها؟

أين ما ساندها في ضعفها؛ ودعمها وعلّمها كيف تكون فتاة ناجحة وقوّية؟

أين... وأين... وأين؟.

تبحث عنه بنظراتها بينهم فلا تجده؛ تتفحّص كلّ ركن داخل المنزل ولا تجده؛ فتخرج إلى الحديقة وتجلس هناك؛ تتأمّل الطّيور والأشجار والأزهار الذّابلة حزنًا وليس عطشًا. منذ أن فارقها والدها وهي منطوية على نفسها؛ لا تتكلّم مع أحدٍ سوى مع قلمها؛ ذلك الصّديق الّذي تعتبره توأمها؛ لأنّه يشبهها؛ ولأنّه الوحيد الّذي يفهمها. يكتم سرّها؛ ويعلم نقاط ضعفها وقوّتها. تقاسمت معه جميع أوقات السّعادة في حياتها؛ شاركها فرحها فكيف لا يشاركها حزنها وألمها الّذي كتبت عنه مثلما كتبت عن حبّها يومًا.

من كان يقول أنّ تلك الفتاة الضّاحكة ستدمن تعاطي الحزن يومًا؛ فمن يعرفها عن قرب لن يخطر بباله أبدًا حدوث أمر كهذا؛ ونفس الشّيء بالنّسبة لمن لا يعرفها أيضًا. ستخدعه ضحكاتها؛ وتسحره خفّة دمها ومرحها؛ ولهذا ظنّ جميعهم بأنّها لن تتألّم يومًا ولن تعاني؛ وكأنّها ليست من بني البشر مثلهم.

هي نفسها لم تكن تظنّ بأنّ الحزن سيدقّ بابها يومًا ما؛ وأنّها ستفتح له بيدها؛ وتستضيفه عندها هو وجميع سلالاته؛ وتجلس معه على نفس الطّاولة؛ وتشرب معه نخبًا لأوّل تعارف بينهما؛ لتدمنه بعد ذلك من أوّل كأس؛ رغم مرارة طعمه.

لم تكن تظنّ بأنّها ستلبس ثوبه رغم ضيقه؛ وتكحّل به عينيها؛ وتصنع منه ضفيرة جانبيّة. لم تكن تظنّ أيضًا بأنّها ستستنشقه كلّ يوم مع الهواء حتّى تصاب بنزلة برد حادّة تأتيها بغتة...

لم يكن كلّ هذا بإرادتها؛ بل كان رغمًا عنها. فهو أتاها فجأة دون أن يأخذ موعدًا مسبقًا؛ رغمًا عنها لبّت له النّداء؛ وأدخلته بيتها دون أن تسأله؛ ما إن كان سيرحل بعد ذلك أم سيطيل عندها البقاء.

قضينا سنوات عديدة في التّعليم؛ ومع ذلك لم يعلّمنا أحد أن نحب أنفسنا.

- وليم شكسبير -

فتحت نافذة غرفتها؛ ثمّ جلست خلف مكتبها؛ أخرجت من درجه مجموعة أوراق بيضاء وأقلام تلوين. رفعت شعرها إلى الأعلى قليلاً؛ وأمسكته بقلم أحمر؛ وراحت تخطّ ما كان يخطر على بالها. لم ترسم هذه المرّة فساتينًا؛ ولا حتّى حبيبها كما كانت تفعل ؛ بل رسمت وجهها العابس. رسمت نفسها وهي تحمل بيدها قلبًا مكسورًا وجريحًا؛ لوّنته بكلّ الألوان الّتي لديها؛ ذلك القلب هو نفسه الّذي كانت ترسمه بأقلام البراءة عندما كانت طفلة؛ لكن بشكل آخر؛ فذلك القلب كان كاملاً ولونه كان أحمرًا؛ أمّا هذا فكانت عليه خدوش وكسور وجروح؛ وبقع كثيرة وألوانٍ عديدة. لقد كان هذا قلبها؛ كيف كان وكيف أصبح؛ إنّه قلبها وتلك الآثار الّتي عليه؛ لم تكن بقعًا ولا ألوانًا؛ وإنّما هي الكدمات المتتالية الّتي تلقّتها دفعة واحدة.

ضحكت ألين الشّابة على ألين الصّغيرة؛ ضحكت عليها لأنّها كانت ساذجة؛ ضحكت على براءتها؛ وعلى طيبتها؛ رغم أنّهما متشابهتان في كلّ شيء. بكت ألين الصّغيرة كثيرًا

لأنّها لم تتحمّل كلّ تلك الشّتائم الّتي سمعتها من أقرب النّاس إليها؛ ولهذا قرّرت أن تتخلّى عنها وتتركها. فجمعت أغراضها وحزمت أمتعتها؛ ثمّ وقفت أمامها ونظرت لها نظرة غامضة؛ ودّعتها في صمت وانصرفت؛ ظنّت ألين الشّابة أنّها تمزح؛ ولم تصدّق أنّها سترحل عنها فعلاً؛ حتّى رأتها تغادر؛ فأسرعت للّحاق بها؛ لتمنعها وتعتذر منها؛ لكنّ الأخرى اختفت بسرعة وفي لمح البصر.

سقطت ألين الشّابة في تلك اللّحظة أرضًا؛ ووضعت يديها على وجهها؛ تكفكف دموعها لقد ندمت على كلّ ما قالته في الحقيقة هي لم تكن تنوي جرحها؛ بل كانت تلوم نفسها وبينما هي كذلك؛ حتّى أحسّت بيد دافئة تطبطب على كتفها؛ التفتت وهي تمسح دموعها؛ وإذا بها ألين الصّغيرة؛ لم تصدّق ما تراه عيناها؛ هي بشحمها ولحمها من تقف أمامها؛ وليست مجرّد خيال كما كانت تعتقد. مدّت لها يد العون كعادتها وساعدتها على النّهوض؛ ارتمت ألين الشّابة في أحضانها وعانقتها عناقً المحتاج....

رغم أنّها تحبّها كثيرًا؛ إلاّ أنّها حاولت عدّة مرّات الانفصال عنها.حاولت قتلها لأجل أن تعيش هي؛ فألين الصّغيرة

كانت تسيطر عليها كثيرًا؛ لأنّها أقوى منها؛ تتغلّب عليها دائمًا؛ بطيبتها وبراءتها؛ وبصدقها وحبّها النّقي؛ وهذه الصّفات نفسها الّتي تكرهها ألين الشّابة فيها؛ لهذا كانت تراها ساذجة؛ فحاولت جاهدة أن تغيّرها.

ماذا سيحدث لو كذبت مرّة؛ أو نافقت مرّة؛ أو خانت مرّة؛ فكلّ النّاس يفعلون ذلك؛ ولا أحد يحاسبهم؛ لكنّها لم تنجح. هي لم تفشل في الانفصال عنها فقط؛ بل فشلت في قتلها؛ وفي محاولة تغييرها أيضًا؛ فألين الصّغيرة كانت مميّزة جدًّا؛ لأنّها لا تشبههم ولا تتصرّف مثلهم فهي تحبّ نفسها هكذا؛ وليست بحاجة للتصنّع لتلفت الانتباه؛ ان كان الانتباه نفسه ينحني أمام عفويّتها.

* * *

كيف يستطيع المرء التجرّد من ذاته؛ كيف له أن يقتل نفسه. لا أحد يجرأ على فعل ذلك؛ وفي هذه النّقطة نحن لسنا مخيّرون؛ بل مجبورون على محاسبة أنفسنا قبل معاقبتها.

كلّنا نملك بداخلنا شخصًا آخر يشبهنّا كثيرًا؛ يصرخ ويتألّم مثلنا؛ يأكل ويشرب وينام مثلنا يمرض وينازع مثلنا؛ يحبّ

ويكره مثلنا؛ يضحك ويبكي مثلنا؛ ويقرأ ويكتب مثلنا. هو يشبهنا جدًّا ويعرفنا أكثر ممّا نعرف نحن أنفسنا؛ ذلك الشخص إمّا أن يكون طفلاً أو شيخًا مسنًّا؛ وربّما كلاهما معًا.
كلّنا لنا أشباه؛ وشبيه المرء هو نفسه.

* * *

جمعت أقلامها المبعثرة؛ وأعادتها إلى درج المكتب؛ ثمّ مزّقت جميع الأوراق الّتي كانت أمامها ورمتها؛ لم ترميها في سلّة المهملات؛ بل رمتها من النّافذة؛ وبقيت تنظر إليها وهي تطير في الهواء.
تمنّت حينها لو أنّها تستطيع رمي حزنها كما رمت أوراقها.
ستستجيب السّماء لدعواتها يوما ما؛ وسيأتي ذلك اليوم الّذي سيهاجر فيه الحزن بعيدًا عنها سيطير كما طارت أوراقها دون رجعة.
أغلقت النّافذة؛ ثمّ دخلت إلى الحمام؛ غسلت وجهها؛ وعادت إلى غرفتها؛ غيّرت ملابسها ووقفت أمام المرآة تسألها:
. أيّهما الأجمل؟ هي عندما تبتسم؛ أم عندما تعبس.
جرّبت أن تبتسم أوّلاً؛ ثمّ عبست؛ ثمّ ابتسمت مرّة أخرى.
. هكذا أفضل لننزل إذن.
لا يوجد أحد في المنزل؛ سوى والدتها وأخوها نزار. الذين كانا

يجلسان في الصّالة؛ ألقت التحيّة ثمّ قبّلت والدتها وعانقتها. جلست بينهما وهي تبتسم؛ لم يصدّق كلاهما ما رأوه تعجّبوا من أمرها بقدر ما فرحوا؛ فهذه هي المرّة الأولى الّتي يرو فيها ابتسامتها؛ بعد وفاة والدها.

هذه المرّة الأولى الّتي تتنازل فيها وتجلس معهم.

سألتها والدتها وهي تمسح على رأسها:

. حبيبتي؛ إنت منيحة ياعمري؟.

طمأنتها ألين بقبلة ثانية قبل أن تجيبها:

. أنا بخير إمّي؛ ما تاكلي هم.

ليكني قاعدة معكن؛ وعم اضحك كمان

إذا ما بدكن ياني ظّل معكن هلاّ برجع ع غرفتي.

. بالعكس؛ كتير فرحنا لأنّك رجعتي ألين يلّي منعرفا

الله يخليلي ياكي يا بنتي.

. بحبّك إمّي.

التفتت إلى نزار تسأله:

. نزار وينو أرون؟

لم يجبها عن سؤالها؛ لأنّه كان شاردًا في أفكاره؛ فلوّحت له بيدها وهي تقول:

. ألو؛ خييّ

عم حاكيك؛ إنت سامعني؟

غمز بعينيه قائلاً:

. آسف؛ شردت شوي

إنت هون؟

. لا هونيك؛ بشو كنت عم تفكّر؟.

. ما في شي مهم؛ ما تقلقي

والله نوّر البيت لما شافك تبتسمي.

. والله خيّك معو حق يا بنتي

ليش بضلّك حابسي حالك بغرفتك؛ وكأنّو لّي صار بخصّك لحالك، هيدي مصيبتنا كلنا؛ هيك الله راد؛ ما منقدر نعترض ع حكم الله سبحانوا

شو منعمل؛ لازم نصبر.

ردّت ألين على كلام والدتها قائلة:

. الحمد لله؛ إمّي

الحمد لله.

هي لم تتجاوز صدمتها بعد؛ بل كانت تتظاهر بذلك أمامهم؛ فهي لم تصدّق لا ابتسامتهم؛ ولا كلامهم؛ لأنّها تعلم جيّدًا

بأنّ جميع أفراد عائلتها ليسوا بخير كما يدّعون؛ بل هم يمثّلون ذلك أمامها حتّى يواسوها.

. أرون بعدوا ما رجع لهلأ ؟.

أجابها نزار قائلاً:

. تركتوا بالشّركة؛ بتلاقيه ...

قاطعه أرون:

. ليكني هون.

. أهلين يا إبني.

ردّ أرون بحيويّة:

. أهلين فيكي إمّي

ما أحلاكن وإنتو مجتمعين؛ إن شاء الله منظل ع طول هيك يارب.

عانقته ألين قائلة:

. أمين يارب

أرون كتير اشتقتلّك أنا.

. وأنا يا حبيبتي؛ بس شفتك قاعدة هون فرحت كتير

كل ما برجع من الشّغل بلاقيكي نايمي.

غمز نزار لألين قائلاً:

. شو ست ألين؛ بتشتاقي بس لأرون؛ يعني نحنا منّا معبيين عينك.

. لا؛ والله ما قصدت هيك

إنت خييّ متل ما أرون خييّ؛ بس ...

. بس شو؟

قال أرون وهو يؤشّر له بسبابته:

. أنا بجاوبك

ألين بتحبني أكتر منّك؛ هييّ منّا قادرة تخبرك هيدا الشّي بوجّك لأنّها بتعرفك بتغار منّي.

رماه نزار بوسادة صغيرة قائلاً:

. ما سألتك إنت يا محترم.

تدخّلت ألين لإصلاح الوضع بينهما:

. لا تصدقوا نزار؛ أرون قال هيك تا يستفزّك

مش هيك أرون؟.

. أنا قلت الحقيقة.

نظرت إليه ألين على جنب وقالت له:

. الله يسامحك خييّ.

أرون ضاحكًا:

. خلص؛ خلص

كنّا عم نمزح معك؛ لتكون زعلت نزار.!

نزار باسمًا:

. شو نحنا ولاد صغار.

أحضرت الخالة سمر دواء السيّدة مليكة؛ وذكّرتها بموعد تناوله؛ ثمّ سألت أرون قائلة:

. أرون؛ بتحب جبلك شي تاكلوا؟

أكيد بتكون جوعان يا ابني.

. لا يسلموا؛ أنا تغدّيت برّا.

تنهّد وهو يعتدل في جلسته؛ ثمّ قال بأسلوب حازم:

. يا جماعة في موضوع بدّي خبركن ياه.

ردّ جميعهم:

. خير ان شاء الله.

تكلّم أرون دون مقدّمات:

. أنا بكرا مسافر ع أميركا.

تفاجأت ألين ووالدتها بما سمعاه؛ على عكس نزار الّذي لم يحرّك ساكنًا؛ هذا لأنّه كان على اطلاع مسبق بقرار أخيه. سألته والدته عن السبب؛ فأجابها:

. اتّصل فييّ شريك بييّ؛ وطلب منّي كون حدّوا بأقرب وقت؛ لأنّو وضع شركتنا منّو منيح البابا هلّأ ماعاد موجود؛ مشان هيك لازم واحد فينا يوقّف ع الشغل هونيك.

حكيت أنا ونزار بالموضوع؛ هوّي وألين راح يديروا بالن ع الشّغل هون؛ وأنا راح سافر ما في حلّ تاني؛ لازم نتعاون؛ نحنا صرفنا أموال كبيرة ع عرض الأزياء؛ وبالأخير هوّي إلتغى؛ والباقي كلّنا منعرفوا.

ما بدّي اصدمكن بس؛ وضعنا كتير صعب بها لفترة؛ وإذا ما قدرنا نسيطر عليه أكيد راح نخسر كلشي.

وضع نزار يديه على وجهه قائلاً:

. الله يقدّر يلّي فيه الخير خييّ.

ردّ أرون مطمئنًا:

. اطمّنوا؛ باذن الله كلشي راح يكون متل ما بدنا وأحسن

إذا لزم الأمر بشتغل ليل نهار؛ وما بخلّي تعب البابا وشقاه يروحوا هيك ع الفاضي.

رفعت والدتهم يديها إلى ربّها تدعوه:

. يارب احمي ولادي؛ وفّقهن؛ وكون معهن

بعّد عنن ولاد الحرام واهزم عدوّينن يارب.

قبّلها أرون على جبينها وقال:

. يخليلنا ياكي يا ست الكل.

قالت ألين وهي تنتصب واقفة:

. عن اذنكن؛ طالعة ع غرفتي.

استوقفها أرون:

. ألين وقفي شوي.

التفتت إليه وهي تهزّ برجليها.

. خير ألين شايفك ما حكيتي شي؛ وكأنّو لّي سمعتيه ما بيهمّك.

. اعملوا شو ما بدّكن؛ ما خصني.

إذا بدكن روحوا كلكن؛ الله معكن.

. هلأ هاد لي طلع معك

عن جد ما توقعت اسمع منك هيدا الحكي.

. من يوم ورايح؛ لازم تتوقّعوا كل شي

لحتّى ما يصير معكن متل ما صار معي

يلا بخاطرك.

صعدت إلى غرفتها؛ فتحت خزانتها وأخرجت منها صندوقًا صغيرًا؛ ذلك الصّندوق كان صندوق ذكرياتها. تربّعت فوق سريرها؛ وراحت تقلّب صفحات الذّكريات الجميلة؛ رغم أنّها

عادت إلى غرفتها وأغلقت الباب على نفسها. ارتمت في أحضان سريرها؛ وغرست رأسها في وسادتها؛ تشكوا وجعًا كبيرًا بداخلها؛ وجرحًا يرفض الشّفاء. خسارة تجرّ خسارة؛ وخيبة وراء أخرى؛ فجأة غاب حبيبها؛ وفجأة توفيّ والدها؛ وفجأة سيسافر أخاها. لم تعد تدري على من ستبكي؛ وعلى من ستوزّع دموعها. توالت صدماتها؛ وتعاظمت أحزانها؛ وكأن الدّنيا نذرت أن تبكيها بقدر ما أضحكتها؛ سلبت منها أعزّ الأحباب وأقربهم إليها.

نامت تلك اللّيلة على دموعها.

نامت هي؛ لكنّ ألاماها لم تنم.

نامت عيناها؛ أمّا قلبها فبات يصلّي لله؛ يسأله الصّبر؛ ثمّ الصّبر؛ ثمّ الصّبر؛ ويرجوه أن ينصره على أحزانه؛ ويخرجه من الضّيق إلى أوسع الطّريق. فالله وحده من يعلم ما تعانيه تلك البريئة وما تشعر به.

يتبع....